مظاهر الاستلزام الحواري في المقامة الكوفية للحريري «دراسة تداولية»

د. لمياء بنت حمد العقيل[1]

(قدم للنشر في ١٣/ ٠٤/ ١٤٤٢هـ؛ وقبل للنشر في ٠٩/ ٠٦/ ١٤٤٢هـ)

المستخلص: تناول البحث مقامات الحريري بدراسة تداولية لمظاهر (الاستلزام الحواري) من خلال تحليل (المقامة الكوفية)، رغبةً في الإسهام الجاد في إعادة قراءة التراث باستراتيجيات محددة، وجعله في متناول المناهج اللغوية الحديثة، واستنباط الأسس التي بُني عليها الفكر العربي الأصيل، ومقاربتها مع النظريات الحديثة. وتوصّل البحث في ضوء ظاهرة (الاستلزام الحواري) والمبادئ التخاطبية التي نصّت عليها التداولية، إلىٰ جملة من التأويلات الخفية والمعاني الضمنية للنص المدروس ما كان ليتحصّل عليها لولا استكناه هذه الظاهرة، وتوظيف آلياتها، مستنيرين بالسياق وعناصره المختلفة كالزمان والمكان والخلفية الثقافية والاجتماعية وغيرها؛ لتأييد أحد تلك المعاني الواردة والتأويلات المحتملة أو استبعادها. وشكّلت طبيعة المقامات التي هي نصوص تخييلية، وحوارات تغلب عليها اللغة الإيحائية أرضيةً خصبة لدراسة مظاهر (الاستلزام الحواري)، وأنتجت مادة جديرة بالدراسة؛ فهي خطاب قائمٌ علىٰ تلمُّس مواطن الدلالات الضمنيَّة، والمستترة في ثنايا النص، فالنص برمّته ليس مقصوداً لذاته، بل ينطوي علىٰ دلالات خفيَّة هدفها إثبات براعة الكاتب، وتلاعبه بالألفاظ، وحشده للمعاني الإيحائية؛ حتىٰ يصبح النص نافذة مفتوحة علىٰ فضاءات رحبة من المعاني التي لا يمكن حصرها، مهما اجتهد القارئ ومحلل النص في التنقيب عنها والكشف عن مكنوناتها. وتشكّل ظاهرة (الاستلزام الحواري) إحدىٰ أبرز ظواهر اللغات الطبيعية، التي تناولتها التداوليات الحديثة بالدرس، وغايتها تحفيز وعي القارئ، لكشف المقاصد غير المباشرة والمعاني الضمنية، وتدريبه علىٰ القراءة المتعمّقة والتأويلية، وتعزيز الفكر الناقد في الكشف عن جانب التأثير في النصوص، وبالتالي تنوير العقل العربي باستراتيجيات تحليل الخطاب الحديثة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاستلزام الحواري، المقامات، الحريري، المقامة الكوفية.

***

(١) أستاذ مساعد علم اللغة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البريد الإلكتروني: Lhalaqeel@gmail.com

Dialogic Allusion in Al-Hariri's Kufic Maqamat "A Discourse Analysis Study"

Dr. Lamya Hamad Alaqeel

(Received 28/11/2020; accepted 22/01/2021)

Abstract: This research examines the maqamat of Al-Hariri through a discursive study of aspects of dialogic allusion, focusing on the analysis of the Kufic maqama. The aim is to contribute significantly to the reinterpretation of heritage using specific strategies, making it accessible within modern linguistic methodologies. The study seeks to derive the foundations upon which authentic Arab thought was built and integrate them with modern theories. In light of the phenomenon of dialogic allusion and the communicative principles outlined by discourse analysis, the research explores hidden interpretations and implicit meanings in the deliberately crafted text. The study utilizes the mechanisms of dialogic allusion, shedding light on the context and its various elements, such as time, place, cultural background, and others, to support or exclude potential interpretations and meanings. The nature of maqamat, characterized by imaginative texts and dialogues dominated by figurative language, provides fertile ground for studying dialogic allusion. The study yields material worthy of examination as it deals with discourse that relies on exploring implicit meanings concealed within the folds of the text. The entire text is not an end in itself but holds hidden meanings aimed at demonstrating the writer's skill, manipulating words, and gathering figurative meanings. Thus, the text becomes an open window to vast spaces of meanings that cannot be confined, no matter how hard the reader and text analyst strive to unearth and reveal them. Dialogic allusion is one of the prominent phenomena in natural languages that modern discourses have studied. Its purpose is to stimulate the reader's awareness, uncover indirect purposes and implicit meanings, train the reader in deep and interpretative reading, and enhance critical thinking in revealing the influence aspect in texts, thus enlightening the Arab mind with modern discourse analysis strategies.

Keywords: Dialogism, Dialogic Allusion, Maqamat, Al-Hariri, Kufic Maqama.

❊ ❊ ❊

المقدمة

التداولية منهج من أحدث المناهج المهتمة بتحليل خطاب النصوص الأدبية، تتعامل مع البعد التخاطبي للغة، وتكشف عن قدرات التواصل اللغوي، وجدير بنا أن نتناول تراثنا الأدبي من هذا المنظور الحديث؛ للكشف عن أسرار هذه النصوص ومكنوناتها اللغوية الفريدة، وذلك بغية ربط التراث العربي بالدراسات اللغوية المعاصرة، ومقاربتها بالنظريات الحديثة، ومن هذه النصوص الجديرة بالبحث والدراسة: (مقامات الحريري) التي تنتمي إلىٰ العصر العباسي، وتجمع بين الشعر والنثر، ونشأت في القرن الرابع الهجري علىٰ يد (بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ) وبلغت ذروتها علىٰ يد (الحريري ت ٥١٦هـ).

وقد وقع الاختيار علىٰ المقامة الكوفية للحريري للأسباب التالية:

١- كثرة الحوارات في المقامات، والتي هي بيئة خصبة تتجلّىٰ فيها القواعد التخاطبية والأبعاد السياقية، التي تغذّي الدراسة التداولية وآلياتها الإجرائية؛ إذ تتيح لأطراف الخطاب تبادل الأدوار، مما يحدث الانسجام والتفاعل ومن ثم توضيح المقاصد.

٢- استواء فن المقامات علىٰ سوقه لدىٰ الحريري، مما أفرز مادة جديرة بالدراسة.

٣- احتواء المقامة الكوفية علىٰ لغة تخييلية إيحائية يتمظهر فيها المستلزم الحواري بصورة واضحة.

وعلىٰ الرغم من صعوبة تحليل النصوص التخييلية؛ وذلك لبعدها عن سياقاتها، إلا أن استثمار آليات النظريات الحديثة كفيل بتذليل الصعوبات وتجاوز العقبات.

*** أهمية البحث:**

تكمن في محاولة تقريب التراث، وجعله في متناول النظريات الحديثة، التي من أهمها التداولية؛ وذلك بتحفيز وعي القارئ، لكشف متضمنات القول في النصوص، الحبلىٰ بالمعاني

الضمنية التي قد تكون بعيدة علىٰ المتلقي لأول وهلة، مما يدرّب القارئ علىٰ القراءة المتعمّقة، ويعزّز فكره الناقد في الكشف عن جانب التأثير في النصوص، ويسهم في تنمية مهارات القراءة التأويلية، وبالتالي تنوير العقل العربي باستراتيجيات تحليل الخطاب الحديثة.

*** مشكلة البحث:**

يعتمد البحث علىٰ إشكال رئيس مفاده: ما متضمنات القول التي يكشفها (الاستلزام الحواري) في المقامة الكوفية للحريري؟ وتنبثق عن هذا الإشكال عدة تساؤلات منها:

١- هل في تراثنا العربي جذور للتداولية يمكن أن تستند عليها الدراسات الحديثة؟

٢- ما دور السياق في إثبات التأويل المختار أو نفيه؟

٣- ما التأويلات الممكنة التي تسعفنا بها قراءة نص المقامة من وجهة نظر المبادئ التخاطبية؟

٤- كيف نعرف المعنىٰ المستلزَم حوارياً لصيغ الجمل كالنداء والأمر والنهي والاستفهام وغيرها؟

ومن خلال الإجابة عن هذه التساؤلات يحاول البحث إثبات جملة من الفرضيات منها:

١- يزخر تراثنا العربي بنصوص قيمة - نظرية وتطبيقية - اعتنت بالجانب الاستعمالي للغة وإن لم تصرِّح به.

٢- أثبت السياق فاعليته في تأكيد أحد التأويلات أو نفيه.

٣- ثمة تأويلات ضمنية يحتملها نص المقامة، تكشف عنها المبادئ التخاطبية.

٤- خرجت صيغ الجمل كالنداء والأمر والاستفهام إلىٰ معاني أخرىٰ كالدعاء والالتماس والإنكار.

*** أهداف البحث:**

ويحاول البحث تحقيق الأهداف التالية:

١- توظيف المناهج الحديثة خدمة للتراث العربي واستكناه مكونات الخطاب السردي

ممثلا في جنس المقامة.

٢- بيان مظاهر الاستلزام الحواري في المقامات للكشف عن الجانب التأثيري فيها.

*** مصطلحات البحث:**

(الاستلزام الحواري Conversational implicature) هو: المعنىٰ التابع للدلالة الأصلية، أو: ما يقصده المتكلم بشكل غير مباشر، مما يجعل المستمع يتجاوز المعنىٰ الظاهر إلىٰ المعنىٰ الضمني[١].

(التداولية Pragmatique) هي: دراسة استعمال اللغة في السياقات المختلفة والمواقف الطبيعية، ودراسة العلاقات بين اللغة ومستخدميها، تفريقاً لها عن مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ (Syntactics)، وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجي أو دلالاتها (Semantics)[٢]. ويمكن تعريفها بأنها: «دراسة جوانب السياق التي تشفّر شكلياً في تراكيب اللغة»، و«فرع من فروع اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم»[٣].

(المَقامات): جمع (مَقامة) وهي في الأصل اسم المجلس والجماعة من الناس، وسُمّيت الأحدوثة من الكلام مقامة؛ لأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها، وتعد المقامات إحدىٰ الفنون النثرية التي يبالغ فيها الكاتب بالاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب والمحسنات اللفظية[٤].

أما **المنهج** الذي تبنّاه البحث فهو الوصفي التحليلي، لتجلية مواضع (الاستلزام الحواري)

---

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، (ص٨).

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ربول وجاك موشلر، (ص٢٩). وانظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، (ص٧٦).

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (ص١٢).

(٣) نشأة المقامات في الأدب العربي، حسن عباس، (ص٣٤).

وتأويلها وفق مبدأ (التعاون) الذي سنّه (بول غرايس Paul Grice)، مع التعريج على المبادئ التخاطبية المستدرك بها على هذا المبدأ، وذلك بالاستعانة بآليات المقاربة التداولية، وسيغفل البحث شرح معاني كلمات النص، إلا فيما يخدم تحليل الظاهرة موضوع الدراسة.

*** الدراسات السابقة:**

لم أعثر - في حدود اطّلاعي - على دراسة تتناول مظاهر (الاستلزام الحواري) في المقامات، في حين أن هناك رسالة ماجستير مخطوطة، من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة (محمد خيضر) بالجزائر، عام ٢٠١٥م، وهي بعنوان: (الأبعاد التداولية في مقامات الحريري) للطالب: النذير ضبعي، تتناول مقامات الحريري، من المنظور التداولي بأبعاده كافة، ولم تتناول مظاهر (الاستلزام الحواري) صراحةً، بل تناولته من زاوية أخرى تحت عنوان: (أفعال الكلام غير المباشرة)، وهو تناوُلٌ تداولي قريب من تناوُل مظاهر الاستلزام الحواري، بيد أنه مبحث موجز يخلو من تحليل أي موضع من مواضع (المقامة الكوفية) التي نحن بصددها، سوى جملة واحدة هي: (ما عندكم؟) وقال فيها: (خرج الاستفهام إلى الأمر).

*** حدود البحث:**

المقامة الخامسة من مقامات الحريري، والموسومة بـ(المقامة الكوفية).

*** خطة البحث:**

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، المبحث الأول دراسة نظرية لظاهرة (الاستلزام الحواري)، وخصائصها، وجذورها التراثية. والمبحث الثاني دراسة تطبيقية تناولت الخطاب التخييلي في المقامة بالدراسة من خلال الكشف عن مظاهر الاستلزام الحواري، وذلك ببيان متضمنات القول، والدلالات الاستلزامية للجمل الخبرية والإنشائية في خطاب المقامة الكوفية، وأمثلة على خروقات المبادئ التخاطبية فيها.

***

التمهيد

مفهوم التداولية: مبحث لساني يدرس كيفية فهم الخطاب وإنتاج الأفعال التواصلية في إطار موقف كلامي محدد، لا تستند علىٰ قواعد واضحة كالنحو، بل تعتمد علىٰ السياق في تحديد المعاني المحتملة، وهو ما لا حدود له. ويعرِّفها (ديكرو Ducrot) بأنها: تأثير مقام التخاطب في المعنىٰ؛ حيث لا تبحث في التركيب اللساني الذي وقع فيه اللفظ بل تبحث في جميع ما في معنىٰ اللفظ المرتبط بالسياق الذي قيل فيه(١).

ويرىٰ (دومينيك مانقونو Dominique Maingueneau) أنه اصطلاح يفضي إلىٰ الالتباس؛ إذ يحيل علىٰ رؤية خاصة للغة، ومكوّن تداولي جديد منبثق عن التقسيم الثلاثي الذي اقترحه (تشارلز موريس Charles Morris)، بالإضافة إلىٰ المكوّنَين التركيبي والدلالي، يهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها أو مفسِّريها(٢).

وتتكئ التداولية علىٰ قاعدة أساسية هي: (القصد)، والذي يعتمد علىٰ بلورة المعنىٰ كما هو عند منشئ الخطاب، مما يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الاستراتيجية التي تتكفل بنقله(٣).

* * *

(1) Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Oswald Ducrot (et Jean-Marie Schaeffer (1999), P 131.

(٢) محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، (ص١٧٦).

(٣) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، (ص١٨٠).

المبحث الأول
الدراسة النظرية

ظاهرة الاستلزام الحواري:

ويرجع البحث فيها إلىٰ المحاضرات التي ألقاها العالم اللغوي (بول غرايس) في جامعة هارفارد سنة ١٩٦٧م بعنوان: (المنطق والتخاطب)، والمحاضرات التي ألقاها سنة ١٩٧١م بعنوان: (الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي)(١)، وكانت نقطة البدء بمفهوم يقتضي أن المتكلم قد يقول ما يقصد، وقد يقصد أكثر مما يقول، وقد يقصد عكس ما يقول(٢).

ويشترط غرايس لتحقيق (الاستلزام الحواري) أن يتّخذ المتكلم للمعنىٰ الذي يقصده ما يعين علىٰ إدراكه من وسائل لغوية ومقامية، كالمعنىٰ الحرفي للمفردات، ومبدأ التعاون وقواعده، والسياق اللغوي وغير اللغوي، والخلفية المعرفية والثقافية(٣).

ويشكّل (الاستلزام الحواري) أحد أهم مفاهيم التداولية المعاصرة، وخاصية من خواصّ اللغات الطبيعية(٤)؛ جاء نتيجة فرضية (غرايس) التي تفيد بأن المتكلمين يعملون علىٰ **مبدأ التعاون (Cooperative)** ويقوم هذا المبدأ التداولي علىٰ أربع قواعد(٥):

١ - الكم (Quantity): أن تكون كمية المعلومات المطلوبة كافية (بالقدر المطلوب لا تزيد ولا تنقص).

---

(١) نظرية المعنىٰ في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، (ص١٣).

(٢) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٣٣).

(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، (ص٣٠).

(٤) انظر: مداخلات لسانية (مناهج ونماذج)، (ص٥٧)، والتداولية اليوم علم جديد في التواصل، (ص٥٢).

(٥) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٣٤).

٢- الكيف (Quality): أن تكون المعلومات صادقة وواقعية (لا يقال ما يعلم كذبه، أو لا دليل عليه).

٣- العلاقة (Relation): أن تكون المعلومات مُلائِمة ولها علاقة بالموضوع (مناسبة المقال للمقام).

٤- الأسلوب (Manner): أن تكون المعلومات واضحة (التحرُّز من الغموض أو الإلباس، والترتيب)[١].

يرىٰ (غرايس) أن علىٰ المتخاطَبَين الالتزام بهذه القواعد في الحوار، فإذا أخلّ أحدهما بقاعدة منها فعلىٰ الآخر أن يصرف الكلام عن معناه الظاهر إلىٰ معنىٰ خفي يقتضيه المقام ويدلّ عليه المعنىٰ الظاهر والقرائن المصاحبة[٢]. وتتجلّىٰ ظاهرة الاستلزام الحواري - في نظر غرايس - حين تُخترق إحدىٰ هذه القواعد، مما يسبب نتائج عكسية في دائرة التواصل، ويشوّه المعنىٰ الأصلي[٣]؛ إذ يغيب المعنىٰ الصريح في المحادثة، فلا يتحقق تعاون المتحدثين إلا بتفسير الكلام من منظور يخالف دلالته الصريحة، أو يزيد عن معناه الحرفي، بالاستعانة بالسياق والخلفية الثقافية، وهذا ما يُسمىٰ المعنىٰ الضمني للكلام[٤].

و(**الخرق** Violation) عند غرايس: مستوىٰ من مستويات توليد الدلالة، يتمكن المتكلم من خلاله من تضمين معانٍ يشتقها المستمع معتمداً علىٰ القرائن اللفظية والمعنوية والمعارف

(١) انظر أيضًا في قواعد مبدأ التعاون: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، (ص٢٣٨)، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، (ص١٠٠)، والتداولية عند العلماء العرب، (ص٣٤).

(٢) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، (ص١٠٤).

(٣) قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، مازن الوعر، (ص٣١- ٣٢).

(٤) أطروحة غرايس في اللسانيات التداولية: توصيف ودراسة في ماهية الاستلزام التخاطبي، إيمان جربوعة، (ص٧).

المشتركة بينهما[1].

ويهدف (الخرق) إلىٰ اشتقاق دلالات جديدة يولدّها محتوىٰ الجمل الدلالي[2]، ولكن ذلك الخرق يستوجب أن تكون له ضوابط تضبط انفلاته، وتحدّ من تجاوزاته، وتحفظه من العبث والاجتراء؛ وهذ ما عرّض مقاربة غرايس لانتقادات عدة، منها انتقادات الباحثة (دايردر بورتون Deirdre Burton) من ناحية أن اشتقاق المعاني الضمنية يجب أن تضبطه استراتيجيات محددة كما هو الأمر عند (سيرل Searle) ومقولاته في الأفعال غير المباشرة، وأن قواعد مبدأ التعاون ضعيفة؛ لأنها لم تشرح العلاقة بين المعنىٰ والقوة، وأنها ليست كلية فهي لا تنطبق علىٰ كل اللغات[3].

بينما يرىٰ (طه عبد الرحمن) أن مبدأ التعاون والقواعد التي يتضمنها، تجاهلت مبدأ (التأدُّب) واقتصرت علىٰ الجانب التبليغي؛ إذ يرىٰ أن العلاقات التخاطبية تقوم علىٰ أربعة مبادئ[4]:

١ - التعاون، سنّه (غرايس)؛ وقد سبق بيانه.

٢ - التأدّب Politness: وقد فرّعت (روبن لاكوف Robin Lakoff) هذا المبدأ إلىٰ ثلاث قواعد:

أ- التعفّف Formality: أي لا تفرض نفسك علىٰ المتلقي، وتجنب الإلحاح، واحفظ المسافة بينك وبينه؛ فلا تكشف أحوالك له، ولا تقتحم خصوصياته.

---

(١) انظر: الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول غرايس، الراضي رشيد، (ص٥٧).

(٢) انظر: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، آمنة بلعلي، (ص٢٨١).

(3) Meaning and Mind: An Examination of a Gricean Account of Language, Anita Avramides, P29-30

(٤) انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (ص٢٣٩- ٢٤٨).

ب- التودّد courteous: أي إظهار الود للمخاطب؛ بأن لا تترفّع في خطابك، ولا تخاطبه بلغة لا يفهمها، وأن تستخدم أساليب التودد كالتصغير والكنية واللقب.

ج- التشكيك (التخيير): بأن تدع للمخاطب حق القبول أو الرفض، كاستخدام الاستفهام الذي يتيح للمخاطب المشاركة في القرار، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦].

٣- التواجه Facing: وقد ورد مضمون هذا المبدأ عند (براون Brown) و(ليفنسون Levinson) في دراستهما المشتركة؛ ومفاده: (لتصن وجه غيرك)؛ فهناك (وجه جالب إيجابي) يحفظ ماء وجه المخاطَب، ويريد فيه المخاطِب جلب اعتراف الغير بأفعاله، ويستخدم الأساليب غير المباشرة في الأمر والنهي، وهناك (وجه دافع سلبي) يريد فيه المخاطِب دفع اعتراض الغير سبيل أفعاله، ويعتمد علىٰ المباشرة والمواجهة والسخرية. علىٰ أنه يمكننا المقابلة بين خطط التخاطب عند براون وليفنسون وبين قواعد التأدب عند لاكوف بما يمكن معه ردّ كثير من الأمثلة إلىٰ المبدأين كليهما(١).

٤- التأدّب الأقصىٰ Maximum politness:

أورد (ليتش Leitch) مبدأ اللطف في الفعل الكلامي انطلاقًا من مبدأ التعاون لغرايس الذي يرىٰ أن قواعده غير شاملة للغة التخاطب، فأضاف بعض المستلزمات التخاطبية التي تراعي النواحي الاجتماعية والنفسية، من خلال ست قواعد هي: اللباقة Tact (قلل من خسارة الغير وأكثر من ربحهم)، السخاء Generosity (قلل من ربح الذات وأكثر من خسارتها)، الاستحسان Approbation (قلل من ذم الغير وأكثر من مدحهم)، التواضع Modesty (قلل من مدح الذات وأكثر من ذمها)، الاتفاق Agreement (قلل من الاختلاف وأكثر من الاتفاق)، التعاطف Sympathy (قلل من التنافر والشماتة وأكثر من التعاطف).

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (ص٢٤٤).

إن جملة مثل: (أحضر لي كوب ماء) تخترق مبدأ التأدب، وتحقق جملة: (أريد أن تحضر لي كوب ماء) قدراً من التأدب، في حين تحقق جملة: (هل يمكن أن تحضر لي كوب ماء لو سمحت؟) التأدب الأقصىٰ.

ورغم أهمية هذا المبدأ في التقرب من المخاطب؛ إلا أنه يقوم علىٰ (التظاهر وتحصيل الأغراض)[1].

ويمكن التمثيل لتلك المبادئ التخاطبية وقواعدها بالرسم التالي:

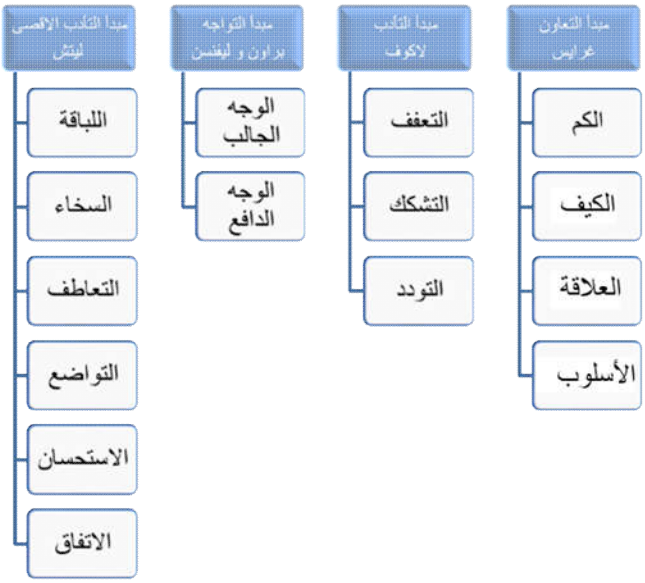

ويمكن تصنيف الأمثلة التي ساقها (غرايس) عن الاستلزام الحواري في **مجموعتين**:

- الأولىٰ تحترم قواعد التخاطب فلا تخرج عن المبدأ العام أو القواعد الحوارية.
- الثانية تخرج عن القواعد الفرعية مع بقاء احترام المبدأ العام.

إن متكلم اللغة «يبني معانيه ويسوقها إلىٰ مخاطب يفترض مسبقًا امتلاكه لآليات منطقية

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (ص٢٤٩).

طبيعية واستدلالية، وقواعد خطابية بلاغية تمكّنه من إدراك ما يتضمنه الكلام من معانٍ غير مباشرة»، فالمتكلم لا ينشئ كلامه بمعزل عن العالم عامة، والمخاطب خاصة، بل علىٰ ضوء الافتراضات التي كوّنها عن شخصية المخاطب، ومنزلته الاجتماعية، وقدراته الفكرية والاستدلالية، التي تمكِّنه من امتطاء صهوة التأويل لإدراك المعاني الضمنية للخطاب(١)، وحقّ المتكلم في التعبير عن معانيه بطريقة ضمنية مشروط بعدم الإلباس علىٰ المخاطب، كما أن حق المخاطب في التأويل مشروط بعدم التجاوز إلىٰ حد يلغي دور المنظومة اللغوية في التفريق بين الألفاظ وانتخاب دلالاتها.

وعليه فإن استراتيجيات الحوار تحفظ لأطراف الخطاب حقهم في التعبير عن رأيهم مناصفة دون تسلُّط أو إرغام؛ فيختار كل طرف ما يرىٰ أنه الأنسب في حدود التراضي والمسالمة(٢)، وهو مبدأ (التعاون) الذي سنّه (غرايس)، مميزاً بين ثلاثة أنماط للدلالة: الدلالة التواضعية، والإشارة، والقصد، والتي لخّصها (ريكانتي Récanati) بالرسم التالي(٣):

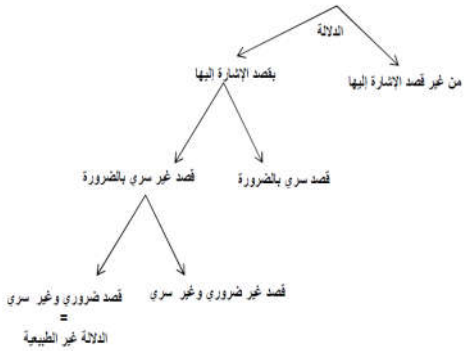

(١) طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، إدريس سرحان، (ص٩٨-٩٩).

(٢) انظر: أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر وإعادة الدمج بين اللسانيات وعلم الاجتماع والفلسفة، حسن المصدق، (ص٢٣٢).

(3) Le développement de la pragmatique in langue française, Récanati, p178

وتطرح تلك الظاهرة إشكالاً لغويًا يستدعي المعالجة، ويتمثل في تساؤلات من قبيل:

في حال كانت جملةٌ ما تحتمل معنىً ظاهراً ومعنىٰ آخر هو الأقرب للتأويل، هل نأخذ بالمعنىٰ الظاهر وحده باعتبار أسبقيته إلىٰ الذهن؟ أم نأخذ بالمعنىٰ المستلزم والظاهر معًا باعتبار أن المعنىٰ الذي يستلزمه المقام ناتج عن المعنىٰ الصريح؟ وكيف يكون الانتقال بين المعنيين؟

ولمزيد من الإيضاح نطرح المثال التالي: (هل يمكن أن تجيب عن سؤالي؟)، لمعرفة معنىٰ تلك الجملة نطرح عدداً من الأسئلة: هل تقصد السؤال؟ أم الالتماس؟ أم كليهما؟ أم تقصد معنىٰ أبعد وهو السخرية والتهكُّم؟

إذا أجبنا بالإيجاب علىٰ السؤال الأول، وإنها تستفهم فعلاً، فهذه الجملة ذات معنىٰ ظاهر ولا تشتمل علىٰ معنىٰ ضمني مستلزَم. أما في حالة استعمال هذه الجملة في مقام خطابي يستلزم الالتماس، فإننا نتساءل: كيف تقتضي الجملة الاستلزام؟ وكيف انتقلت الدلالة من الاستفهام الحقيقي إلىٰ الالتماس؟

ويحدث الانتقال من المعنىٰ الظاهر إلىٰ الضمني (أو من الطبيعي إلىٰ غير الطبيعي علىٰ حد تعبير غرايس) ويتحقق تحققًا كاملاً عندما ينظر المستمع للمتكلم علىٰ أنه جدير بالثقة[1]، ويحصل علىٰ مرحلتين[2]:

أ- المرحلة الأولىٰ: تخترق أحد شروط إجراء المعنىٰ الأصلي لعدم المطابقة المقامية فيمتنع إجراؤه.

ب- المرحلة الثانية: يتولد عن خرق شرط إجراء المعنىٰ الأصلي وامتناع إجرائه معنىٰ آخر مناسب للمقام.

(١) نظرية المعنىٰ في فلسفة بول غرايس، (ص٤١).

(٢) التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، (ص٢٩٨-٢٩٩).

وتتجلىٰ هذه الظاهرة عبر التفاعل بين الصيغة اللسانية والوظيفة التداولية؛ حين تعبِّر الصيغة اللسانية عن معنىٰ غير المعنىٰ الصريح الظاهر، أو أن تعبِّر عن معناها الظاهر بالإضافة إلىٰ معانٍ أخرىٰ غير مباشرة يستلزمها السياق، وهذا يقودنا إلىٰ التسليم بأن معرفة قواعد النحو للغةٍ ما غير كافية لتداوُلها، بل لا بد من إدراك المعاني الضمنية، ومعرفة ما الذي يجعل المتكلم يتمكّن من تبليغ قصده بالاستلزام، وكيف يفهم المستمع قصده علىٰ الرغم من عدم اتفاق الصيغة اللسانية والوظيفة التداولية.

وإن من أهم ما يميّز التناول التداولي للنصوص هو العناية بسياقها الذي قيلت فيه، والظروف التي أحاطت بإنتاج الخطاب، والمشاركين في صياغته، ويرىٰ (هايمس Hymes) أن السياق هو الذي يحصر التأويلات المحتملة، ويؤكد التأويل المقصود، ويتكون من: المرسل والمتلقي والمشاركين والموضوع والمقام وهو مكان الحدث التواصلي وزمانه، والعلاقات الفيزيائية بين المتخاطبين كالإشارات ولغة الجسد وملامح الوجه، والقناة سواء كانت شفوية أم كتابية، والنظام كاللغة واللهجة والأسلوب...[1] كما تدخل فيه العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية وغيرها[2].

ويستوجب الاستلزام الحواري تأويل الجملة التي وقع فيها وفقًا للسياق المحيط بها، مع الاسترشاد بالسيكولوجيا والثقافة المجتمعية، وأي معرفة تعين علىٰ إدراك فحوىٰ الخطاب[3]؛ لذا فتأويل الإجابة علىٰ جملةٍ مثل: (هل نخرج للنزهة اليوم؟) بجملة مثل: (أنا متعب اليوم) هو: (الرفض)، فكونه متعبًا يستلزم كونه يطلب الراحة، والراحة تستدعي عدم الخروج لغير ضرورة.

ومن المسلَّم به أن لأي خطاب رصيد من الافتراضات المسبقة المستقاة من الثقافة العامة

(١) لسانيات النص، محمد خطابي، (ص٥٢ - ٥٣).

(٢) استراتيجيات الخطاب، (ص٤٥).

(٣) فهم الفهم- مدخل إلىٰ الهرمينوطيقا -نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادا مر، عادل مصطفىٰ، (ص٨٧).

يجب أن تتضامّ مع السياق في عملية التأويل، وتتزايد تلك الافتراضات مع تقدُّم عملية الخطاب[1]، ولها أهمية في عملية التواصل، كما أن لها دوراً كبيراً في حقل التعليميات؛ فلا يمكن تعليم الطالب معلومة جديدة إلا بناءً علىٰ معلومات مسبقة ينطلق منها ويبني عليها[2].

إن القدرة علىٰ تأويل الظواهر الاستدلالية بكفاءة مرهون بالقدرة علىٰ اكتساب حالات ذهنية ونسبتها إلىٰ الآخرين[3]؛ فإن الجملة التي لا تتجاوز لفظها، ولا تثير أسئلة، لا تقيم علاقة حجاجية بين المتكلمين، سواء أكان المعنىٰ الذي تحمله الجملة خفيًا أم صريحًا[4].

أنواع المعنىٰ عند غرايس[5]:

١ - المعنىٰ الوضعي (المنطوق): ويعني المحتوىٰ الدلالي الذي يفهم من مجموع المعاني النحوية والصرفية والمعجمية، والذي يشير للنسبة الخارجية بوضوح، ولا يحتاج استنباطه إلىٰ استدلالات منطقية؛ كقولنا: (ملكة بريطانيا من أثرىٰ سيدات العالم)، وهذا المعنىٰ غير قابل للإلغاء دون الوقوع في تناقض؛ فلا يمكن إضافة جملة تلغيه دون أن تنقضه، فلو قلنا: (ولكنها فقيرة) ألغينا المعنىٰ ولكننا وقعنا في التناقض.

٢ - المعنىٰ المنطقي (المتضمّن): يعني أن تتضمَّن جملةٌ جملةً أخرىٰ، فإن كانت الأولىٰ صادقة فالثانية صادقة بالضرورة، أما إن كانت الأولىٰ كاذبة فليس شرطًا أن تكون الثانية كذلك، مثل قولنا: (رأيت حصانًا)، فهي تتضمن: (رأيت حيوانًا)، فإن كانت الأولىٰ صادقة، فالثانية

(١) تحليل الخطاب، ج ب براون وج يول، (ص٩٦).

(٢) مقدمة إلىٰ علم الدلالة الألسني، هربيرت بركلي، (ص١٠٦).

(٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، (ص٥٢).

(٤) عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، عبد السلام عشير، (ص٢٠٧).

(5) Presumptive meanings: the theory of generalized conversational implicature, By Stephen C. Levinson, p 21-27.

وانظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس، (ص٤١ - ٤٨).

المتضمنة صادقة بالضرورة، وإن كانت الأولىٰ كاذبة فقد تكون الثانية كذلك، وقد تكون صادقة بأن يكون رأىٰ حيوانًا ظنه حصانًا وهو جمل.

٣- المعنىٰ المستلزم: والذي يقوم علىٰ مبادئ التعاون الأربعة سابقة الذكر.

وبطريقة أخرىٰ نستطيع القول إن **العبارات تحمل ضربين من المعاني،** الأولىٰ صريحة والأخرىٰ ضمنية[١]، وتشمل المعاني الصريحة التي تدل صيغة الجملة علىٰ معناها:

١ - المحتوىٰ القضوي: ويتمثل في معاني المفردات.

٢ - القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية للجملة، وتظهر من خلال الأساليب اللغوية: (كالأمر والنهي والاستفهام والنفي والنداء والتوكيد).

أما المعاني الضمنية فتدل علىٰ معناها صيغة الجملة والسياق، وتحتاج لإعمال الذهن في التأويل، وتشمل:

١ - المعاني العرفية: وهي دلالات مرتبطة بجملها ارتباطًا أصيلاً، فتلازمها في مقام معين، ولا تتبدّل بتبدّل السياقات، مثل (لكن)، فهي دائمًا تستلزم مخالفة ما بعدها لما قبلها أو لما يتوقعه السامع[٢].

٢ - المعاني الحوارية: وهي معاني تخاطبية سياقية تنتج حسب المقامات التي تنجز فيها جملها، كالدلالات الاستلزامية، وهي بذلك معانٍ اقتضائية تخاطبية[٣]، كسؤال: (ماذا تفعل؟) فإن معناه يختلف حسب المقام الذي قيل فيه، فقد يكون استفهامًا عن الفعل حقيقةً، وقد يكون للتوبيخ علىٰ سوء ذلك الفعل.

---

(١) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، (ص٣٤-٣٥).

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٣٣).

(٣) بين تداوليات سورل وتفكيكية دريدا، عبدالله بريمي، (ص٢٦٦).

خصائص الاستلزام الحواري[1]:

- أن الاستلزام الحواري قابل للإلغاء؛ بحيث يضيف المتكلم ما يسد الطريق على المخاطب الذي يستعدّ للدخول في تأويل المعاني الضمنية، كأن تقول قارئة لكاتب: (لم أقرأ كل كتبك) فهذا قد يستلزم أنها قرأت شيئًا منها، أما إذا قالت: (لم أقرأ أي كتاب من كتبك) ففي ردها إلغاء لأي استلزام.

- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي؛ فهو متصل بالدلالة لا بالصيغة اللغوية، فلا ينتفي مع استبدال الألفاظ بأخرى ترادفها، فلو قالت أخت لأختها: (لا تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو) ثم ردت: (أنا لا أتسلل، ولكني أمشي على أطراف أصابعي حتى لا أحدث ضوضاء)؛ فإن عدم الرضا عن السلوك ما يزال مستلزمًا رغم تغير الصياغة.

- الاستلزام متغير؛ إذ يمكن للتعبير الواحد أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة باختلاف السياقات، مثل سؤال: (كم عمرك؟)؛ فقد يكون استفهامًا لطفل، وقد يكون توبيخًا لصبي في الخامسة عشرة من عمره على سلوك لا ترضاه له.

- يمكن تقدير الاستلزام، فالمخاطب يخطو خطوات محددة للوصول إلى المعاني التي يستلزمها المقام؛ فلو قلت: (فلان رجل من حديد)، فإن المخاطب ينأى بالقرينة عن المعنى الحرفي للعبارة، فيبحث عما وراءها من معنى ضمني، فيهتدي إلى أن المتكلم يريد وصف الرجل بصفات كصفات الحديد كالصلابة وقوة التحمل، فهو يعرف أن المخاطب يستطيع فهم ذلك، مما جعله يلجأ للتعبير الاستعاري لإيصال مقصده.

- وأضاف (د. محمد محمد يونس) إلى تلك الخصائص: قابلية التأكيد، دون الوقوع في الحشو؛ كقولنا: (في الغنم السائمة زكاة)، التي يمكن أن نؤكدها بقولنا: (لا في المعلوفة)، دون أن

(١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (ص٣٨) وما بعدها.

تكون هذه الإضافة حشواً[1].

جذور (الاستلزام الحواري) التراثية:

تؤكد البحوث الحديثة أن مفهوم الاستلزام الحواري كان قريباً من أذهان علمائنا الأوائل، لا سيما علماء النحو والبلاغة والأصول، باعتباره إشكالاً دلالياً يكتنف الخطاب، فوصفوه وتتبعوا مواضعه، وإن لم يرتقِ طرحهم إلىٰ مستوىٰ (الظاهرة)، بل اقتصر علىٰ الملاحظات والأمثلة، ثم وضعت فيما بعد المصطلحات المختلفة حسب العلم الذي يطرقها، ومنها: أغراض الأساليب، والمعنىٰ الفرعي، والمعنىٰ المقامي، ودلالة المفهوم.

فالمتكلم - في رأيهم - يهتم بنوع المخاطب ومقام التخاطب، وذلك لإحراز المنفعة، ونجاح عملية التبليغ، وهو مقارب للتناول الحديث للسانيات التداولية[2].

- فلو قرأنا كتاب (سيبويه ت ١٨٠هـ) لتجلّىٰ لنا اعتداده بأثر قصد المتكلم في تركيب الجملة، وذلك في مواضع عدة كتسويغ دخول الفاء في مثل جملة: (الذي يأتيني فله درهمان)؛ بقوله: لأنه أراد معنىٰ الجزاء وإن لم يجزم[3]، وتتجلىٰ رؤية سيبويه تلك في كثير من أبوابه؛ فالمتكلم له حقّ التصرّف باللغة فيما لا يملك النحوي معه القدرة علىٰ الحد من انطلاقه، فهو يتصرّف في الألفاظ ويطوّعها حسب المعاني والأحوال والمقامات[4].

- كما أوجب (الجاحظ ت ٢٥٥هـ) علىٰ المتكلم أن «يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات»[5].

---

(١) انظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، (ص٤٤).

(٢) انظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، (ص١٥٩).

(٣) انظر: الكتاب، سيبويه، (٣/ ١٦٩ - ١٧٠).

(٤) انظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، (ص٣٨٢ - ٣٨٣).

(٥) انظر: البيان والتبيين، أبو عمرو الجاحظ، (١/ ١٣٨ - ١٣٩).

- ويقرّ (ابن جني ت ٣٩٢هـ) بمنزلة المتكلم في قضية الإعراب بقوله: «فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه ولا شيء غيره»[١].

- ولم يدّخر البلاغيون جهداً في العناية بقصد المتكلم مع عدم إغفال أطراف الخطاب الأخرىٰ كالمخاطب والرسالة؛ فقد اعتنىٰ (عبدالقاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ) بالمقاصد، وتناول قضية المعنىٰ غير الظاهر، فهو «لا يريد المعنىٰ الذي يحدده الوضع اللغوي، بل المعنىٰ الذي قصده المتكلم، المعنىٰ الذي يكشف عن حسن تخيره وصحة تأليفه»[٢]، ويسمّيه: «معنىٰ المعنىٰ»[٣]. ثم انظر إلىٰ تعريفه للكناية بقوله: «أن يريد المتكلم إثبات معنىٰ من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلىٰ معنىٰ هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه»[٤]، وهذا التعريف يقارب التناول التداولي للظاهرة. ويمكننا لمقاربة المفهومين التمثيل بكناية: (كثير الرماد): فالمعنىٰ الحرفي لها يستلزم أن رماده كثير، وهذا يستلزم أنه يوقد النار كثيراً، وهذا المعنىٰ بدوره يعني أنه كثير الطبخ، وهذا يستلزم أنه كثير الضيوف، مما يستلزم معه أنه: (كريم)؛ وهذا عين ما ترمي إليه الدراسات التداولية الحديثة في تناولها لظاهرة (الاستلزام الحواري) مع بعض الإضاءات التي تحدد الظاهرة وتؤطّرها.

- وقد اقتفىٰ (السكاكي ت ٦٢٦هـ) أثر (عبدالقاهر)؛ فهو يرىٰ أن للكلام أغراضاً فرعية يحكمها السياق ولا تحكمها التراكيب، تتولّد عن خرق أحد شروط إجراء معاني الطلب الخمسة: (الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء) نتيجة امتناع إجرائها علىٰ الأصل مقامياً، وإجرائها في سياقات غير مطابقة، كالإنكار واللوم والتهديد وغيرها، فيقول: «متىٰ امتنع إجراء

(١) الخصائص، ابن جني، (١/ ١٠٩-١١٠).

(٢) انظر: دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، (ص٢٠٨).

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (ص٢٦٣).

(٤) السابق، (ص٢٦٢).

هذه الأبواب علىٰ الأصل تولّد منها ما ناسب المقام»[1]. بل قد يُنتقل مقاميًا من معنىٰ إلىٰ معنىٰ داخل معاني الطلب نفسها؛ إذ يمكن أن يتولد التمني عن الاستفهام، كما في قوله تعالىٰ علىٰ لسان الكفار: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٣] في مقام القيامة الذي لا يمكن التصديق بوجود الشفيع فيه؛ فامتنع معه إجراء الاستفهام علىٰ أصله، مما ولّد معنىٰ التمني بمعونة القرائن[2]. كما مثَّل علىٰ خروج الأمر إلىٰ الالتماس، بقوله: «وإن استعملت علىٰ سبيل التلطف، كقول أحد لمن يساويه في الرتبة: (افعل) بدون استعلاء، ولّدت السؤال أو الالتماس»[3].

وركّز السكاكي علىٰ مسألة خروج الخبر إلىٰ الطلب والعكس، «فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلىٰ ذلك إلا لتوخّي نكت قلَّما يتفَّطن لها من لا يرجع إلىٰ دربه في نوعنا هذا، ولا يعضَّ فيه بضرسٍ قاطع، والكلام بذلك متىٰ صادف متمّمات البلاغة افترّ لك عن السحر الحلال بما شئت»[4].

كما تناول إخراج الكلام علىٰ غير مقتضىٰ الظاهر وأسماه (الأسلوب الحكيم) وهو: «تلقي المخاطب بغير ما يترقّب»[5]. وهذا كله آخذ بطرف من المقاربات التداولية الحديثة؛ بل إن (المتوكل) يرىٰ أن وصف السكاكي لظاهرة الاستلزام أكثر دقة من (غرايس)؛ في حين أن السكاكي ركَّز علىٰ الجمل الطلبية، وغرايس علىٰ الجمل الخبرية[6].

***

(١) مفتاح العلوم، أبو بكر السكّاكي، (ص١٧٠).

(٢) السابق، (ص١٣١).

(٣) السابق، (ص١٣٧).

(٤) السابق، (ص١٣٢).

(٥) السابق، (ص٣٢٦).

(٦) انظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، (ص١٠٠ - ١٠٣).

المبحث الثاني
الدراسة التطبيقية

الخطاب التخييلي في المقامة ومظاهر الاستلزام الحواري فيه:

يحيط التخييل بعوالم مختلفة، ويتداخل فيه الصدق والكذب في الشخصيات والأحداث والزمان والمكان، وتتحدّ كلها لتكوين عوالم تلميحية[1].

ويستطيع التخييل بخطابه المنفتح أن يمنح الانسجام لأحداث تلك العوامل المتخيلة[2]. ورغم اعتماده على الكذب، وانتهاكه شرط النزاهة، فكاتب النص التخييلي يكتب جملاً غير صادقة، ويعلم يقيناً أنه مخترق لهذا الشرط[3].

وترى (ربول Reboul) أنه لا فرق بين الأقوال الصادقة والكاذبة في الخطاب التخييلي، فكلاهما فيه قوة إنجازية موهِمة وليس فيه نية المغالطة؛ فالأقوال الحقيقية والمتخيلة تخضع للمعايير نفسها في المنطق التداولي[4].

ولا شك أن الخيال يمنح الكاتب فضاء رحباً للتحليق في المعاني الضمنية، ويُسيّر القارئ على أرضية خصبة من التأويلات المحتملة.

ويقوم خطاب المقامات من أوله إلى آخره على الخيال، **وملخص** مقامتنا ينبئ عن ذلك، إذ: يروي (الحارث بن همام) أنه سمر بالكوفة ذات يوم مع أصحابه، فطرق عليهم آخر الليل رجل أشعث أغبر هزيل عليه أثر السفر، وطلب منهم القِرى، وأنشدهم في ذلك شعراً، فخلبهم بحسن

(١) انظر: التخييل وبناء الأنساق الدلالية (نحو مقاربة تداولية)، سعيد جبار، (ص٨٠).

(٢) انظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ربول، (ص٤٦٨).

(٣) انظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، (ص٣٧).

(٤) انظر: القاموس الموسوعي للتداولية، (ص٤٦٧ - ٤٧١).

منطقه فأدخلوه، ولما أشعل الغلام السراج عرف الحارث هوية الضيف، وأنه (أبو زيد السروجي)، وهو شخصية خيالية تتكرر في كل المقامات، فأثنىٰ عليه الحارث وهنأ أصحابه علىٰ هذه الغنيمة الباردة، فأنِسوا به وطار النوم عن أعينهم. قدّموا لأبي زيد القِرىٰ فأكل حتىٰ شبع ثم لما انتهىٰ طلبوا منه أن يروي لهم عجيبة من عجائبه، فقص عليهم قصة وقعت له قبل دخوله عليهم وقال: (وصلت إلىٰ دياركم وقد أهلكني الفقر والجوع، ووقفت علىٰ باب دارٍ وأنشدتُ شعراً أستطعِمُ فيه أهل الدار، فأجابني فتىٰ نابه منهم، وأقسم أنهم لا يملكون شيئًا، فسألته عن اسمه، فقال: أمي اسمها برّة تزوّجت رجلاً من سروج، فلما أثقلت عليه نفقتها هجرها وهي حامل بي، ولا نعرف أحيّ هو أم ميت؟ فعلمت من العلامات أنه ولدي، ولم أعرّفه بنفسي لقلة ذات يدي)، فسأله الحضور عن نيته في ضمّ ولده، فأخبرهم أنه ينوي ذلك إذا ملك قدراً من المال يكفي لضمه، فعرضوا عليه أن يلتزم كل منهم بدفع حصة له، علىٰ أن يتحفهم بحكاياته ما بقي من الليل؛ فقضوا معه ليلة سعيدة حتىٰ أشرقت الشمس، عندها قام الحارث معه وأعطاه المال، ورغب بمرافقته ليرىٰ ابنه، فضحك ضحكة مدوية، وأنشده شعراً يخبره فيه أن كل ما قاله نسج خيال، فليس له زوجة اسمها برّة، ولا ابن يكنىٰ به، وإنما له فنون سحر يبدع فيها، ولا يقلد فيها الأصمعي أو الكميت، ويتخذها حيلة للحصول علىٰ ما يريد، ثم اعتذر ومضىٰ والحارث غارق في كمده.

الدلالات الاستلزامية للجمل الخبرية في خطاب المقامة الكوفية:

تجدر الإشارة إلىٰ أن بؤرة القول في خبرية الجملة وإنشائيتها هو القصد، فإذا قصد المتكلم الإخبار كان كلامه خبراً، وإذا لم يقصد ذلك كان إنشاء[1]، مما يجعل الصيغة اللغوية ليست المعيار الوحيد للكشف عن أنواع الأسلوب[2].

(١) شرح اللمع، إبراهيم الشيرازي، (ص٥٦٨).

(٢) التداولية عند العلماء العرب، (ص٨٠ - ٨١).

وقد يخرج الخبر عن معناه الأساسي وهو: إفادة المخاطب، لأغراض تفهم من السياق مثل: النهي كقوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والأمر كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، والدعاء كقوله تعالىٰ: (حفظك الله) و(ثكلتك أمك)، وقُصِد في هذه المواضع كلها الإنشاء لا الخبر.

ومما جاء في المقامة من هذا القبيل قول أبي زيد: **(وُقيتم شراً)، و(حُيِّيتم)، و(عشتم)، و(عِشْتَ)، و(نُعِشتَ)، و(جُزِيتَ خيراً)، (ولا لقيتم ضراً) و(لا تلمَّظتُ بقراكم)**: فإن سياق الدعاء في تلك الجمل يقتضي أن يستخدم المتكلم فعل الأمر نحو: (اللهم قهم) و(حيِّهم) و(عيِّشهم) و(عيِّش) و(نعِّش)، والنهي (ولا تُلْقِهم) و(لا تلمِّظني)، لكن ورودها بصيغة الخبر جعلها أبلغ وحمولتها الإنجازية أقوىٰ، بدلالة الفعل الماضي الذي يفيد حصول الفعل بما لا يدع مجالاً للشك فيه؛ فاستخدام الخبر بالفعل الماضي في محل الإنشاء (الدعاء) «حمل معنىٰ زائداً إلىٰ المتلقي تمثّل في الدعاء أولاً، وفي تحقق هذا الدعاء ضمناً علىٰ سبيل التفاؤل ثانياً»[1].

ومن ذلك قوله: **(فدونكم ضيفاً)** فإن (دونكم) اسم فعل يتكون من (الظرف دون + كاف الخطاب + ميم الجمع) ولكنها تستلزم فعل أمر بمعنىٰ: (خذوا)، وهذا بدوره يستلزم معنىٰ: أدخلوه وأكرموه وقدموا له القِرىٰ.

وقد تستلزم الجمل الخبرية معاني ضمنية لا يحملها المعنىٰ الحرفي للعبارة، مما يضفي عليها الغموض والإلباس، ويجعلها تخترق قاعدة الأسلوب التي يفترض فيها أن يراعي المتكلم الوضوح، وهو ما سنتناوله في هذا المبحث لبيان مظاهر (الاستلزام الحواري) في المقامة، ومحاولة الكشف عن المعاني المستترة، والمقاصد الخفية التي رمىٰ إليها الكاتب، مستعينين بقرائن اللغة ومعطيات السياق:

(١) البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد زكي صلاح أبو حميدة، (ص٢١٣).

- حكىٰ الحارث بن همام قال: **(سمرتُ)**: والسمر يكون في الليل تحت ضوء القمر[1].

ثمة أنواع من السرد لا يناسبها سوىٰ الليل، ومنها الحكايات العجيبة أو الخرافات، بدليل أن شهر زاد تروي حكاياتها ليلاً، وتسكت في الصباح عن الكلام المباح. وتناسب الخرافة الليل لمشابهتها للحلم؛ ففيهما ما لا يُصدَّق في الواقع، وهذا ما جعلنا نسلّم بعنصر (التخييل) في تلك المقامة، فالمعنىٰ الحرفي للعبارة أنهم تبادلوا الحديث ليلاً، أما المعنىٰ الضمني فهو التلميح إلىٰ أنها خرافة غير جديرة بالتصديق.

وقد سيطرت علىٰ المقامة فكرة مفصلية مفادها أن **الخداع كان في الليل والانكشاف في الصباح:** وهذه فكرة منطقية؛ يؤيدها تشبيه الجرجاني الحجَّة بالشمس بقوله: إن حقيقة ظهور الشمس ألَّا يكون دونها حجاب يحول بين العين وبين رؤيتها؛ فيقال: ظاهرٌ كالشمس، أي ليس هناك مانع عن العلم به، كما أن الشمس الطالعة لا يشكّ فيها ذو بصر[2].

- **(في ليلة أديمها ذو لونين)**: يعني السواد والبياض، ونقتنص المعنىٰ الضمني للعبارة من الألفاظ، فهي ليلة متلونة، والمتلوّن في الواقع باعث علىٰ الريبة والشك، وليس موضع ثقة، شأنه شأن صاحب الوجهين؛ فلابد إذن أنها ليلة مخادعة ولا نعلم متىٰ ستنكشف.

- **(وقمرها كتعويذ من لجين)**: يطالعنا المعنىٰ الحرفي للعبارة وهو تشبيه القمر بالتعويذة، التي هي رُقية «يُرقىٰ بها الإنسان من فزع أو جنون»[3] أو مرض أو سحر أو موت، وتشبه شكل الهلال، ويشي لنا المعنىٰ الضمني بوجود خطر يجب تجنّبه والاستعاذة من شره وخبثه.

- **(مع رفقة غُذُوا بلِبان البيان، وسَحَبوا علىٰ سَحْبَانَ ذَيلَ النِّسيان):**

إن رفاق الحارث قد بلغوا الغاية في الفصاحة والبيان حتىٰ أنسوا الناس (سحبان بن

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٤/ ٣٧٧)، (باب الراء فصل السين).

(٢) انظر: أسرار البلاغة في علم البيان، عبدالقاهر الجرجاني، (ص٦٦).

(٣) لسان العرب، (٣/ ٤٩٩)، (باب الذال فصل العين).

وائل)[1] الذي يضرب به المثل في ذلك، وأصلُ (جرّ الذيل) أن يُجَرّ علىٰ الأثر ليخفىٰ، كقول امرؤ القيس:

تعفِّي بذيلِ الدرعِ إن جئتُ مودِقي[2]

أما ما يستلزمه ذلك التشبيه؛ فهو أنه رغم ما بلغوا من الفصاحة التي لا نظير لها، فقد استطاع الرجل الغريب خداعهم بمنطقه وبيانه وهُم من هُم في فنون القول.

- دخل عليهم الغريب الذي من شدة هزاله: **(انثنىٰ محقوقفاً مصفرّا):**

انثنىٰ منحنياً مصفرّ اللون، ما يستلزم أن حاله بلغت منتهاها من فرط المجاعة والهزال.

- وأنشدهم الغريب شعراً قال فيه الحارث: (خلبنا بعذوبة نطقه، وعلمنا ما وراء برقه):

يقول: جذبنا بعذوبة منطقه، وعلمنا ما يحمل في جعبته من البلاغة والبيان، أما المعنىٰ غير المباشر فنستشفّه من السياق اللغوي وهو اجتماع الكلمتين: (برق) و(خلب)؛ و(البرق الخُلَّب)[3] هو الذي لا غيث فيه، فهو مخادع ليس منه انتفاع، ولا في وميضه عطاء، فهو يلمح إلىٰ أن الغريب سيكون كذلك.

- ثم قال: **(تأملتُه فإذا هو أبو زيد):**

يقتضي معنىٰ هذه الجملة أن الضيف المُلِمَّ بالقوم هو (أبو زيد السروجي)، وذلك يتضمّن أن بين (الحارث بن همام) الراوي وبين أبي زيد هذا معرفة؛ إذ تحيل العبارة علىٰ علاقة سابقة بينهما.

- أثنىٰ الحارث عليه بقوله: **(فإن يكن أفل قمر الشِّعرىٰ فقد طلع قمر الشعر، أو استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر).**

---

(١) لسان العرب، (١/ ٤٦١)، (باب الباء فصل السين).

(٢) ديوان امرئ القيس، (١/ ١٣٠).

(٣) لسان العرب، (١/ ٣٦٤)، (باب الباء فصل الخاء).

الشعرىٰ: كوكب[1]، والنَّثرة: كوكبٌ أيضاً[2].

تظهر لنا الألفاظ بجلاء أن أبا زيد بارعٌ في الشعر والنثر علىٰ حدٍّ سواء، وثمّة معنىٰ مستتر تستلزمه العبارة؛ فتنقُّله بين الشعر والنثر بمهارة أكّدت ازدواجيته، وألمحت بأنه ذو لونين، فلقد قامت المقامة من أولها إلىٰ آخرها علىٰ هذه الثنائية الازدواجية، فأديمُ الليلة ذو لونين، والليل والنهار، والشمس والقمر، والشعر والنثر، كل هذه الثنائيات تشي بالمفارقة، وتؤكّد الخداع والتلوّن، فشخصية بطل المقامة (أبي زيد السروجي) شخصية مخادعة متلوّنة، تتلفّع برداء الطهر والنقاء، والسماحة والوفاء، وتتظاهر بذلك حتىٰ تحصل علىٰ بغيتها، مستعينة بقوّة البيان، متسلّحة بسلاح الفصاحة، وهذا ظاهر جلي في جميع المقامات.

- فاستأنس به القوم حتىٰ: **(سرت حُميّا المسرّة فيهم):**

الحُمَيَّا: بلوغ الخمر من شاربها[3].

فنشوة السرور بلقاء أبي زيد تشبه نشوة الخمر، وهذا يستلزم معنىٰ مستتراً وهو: أن أبا زيد استطاع بفصاحته أن يخدعهم ويغطّي علىٰ عقولهم كما تغطّي السكرة علىٰ صاحبها، وهم من هم في الفصاحة، مما سيمهّد له الطريق في النهاية ليظفر ببغيته.

- بدأ أبو زيد يروي غريبة من غرائبه بقوله: **(إن مرامي الغُربة لفظتني إلىٰ هذه التربة):**

يبدأ أبو زيد حكايته للحارث وصحبه فيقول: إن الغربة رمتني في أرضكم؛ ويرمي أبو زيد هنا إلىٰ معنىٰ غير مباشر وهو: أن القدر ساقني إليكم، ولم أخطُ إليكم بإرادتي، خاصة وقد قال بعدها: **(ساقني القضاء)**، فكأنه يحمّلهم أمانة من الله عليهم، بحسن استقباله وإكرام مثواه، والاستجابة لأمر الله فيه.

---

(١) لسان العرب، (٤/ ٤١٦)، (باب الراء فصل الشين).

(٢) السابق، (٥/ ١٩٢)، (باب: الراء فصل النون).

(٣) السابق، (١٤/ ٢٠١)، (باب الواو والياء فصل الحاء).

- ثم يصف لهم حالته المزرية، حتىٰ أنه ذو **(جِرابٍ كفؤادِ أمّ موسىٰ):**

يشير المعنىٰ الصريح لهذه العبارة إلىٰ أن جراب أبي زيد فارغ خالٍ من الزاد، وذلك بتشبيهه بفؤاد أم موسىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص: ١٠]، فيما يوحي المعنىٰ الضمني إلىٰ أنه فقير معدم لا يملك قوت يومه، فإذا ما رمينا شباكنا بعيداً فإن فريسة المعنىٰ ستقع فيها، وسنمسك بزمام الدلالة العميقة التي أعطت الخطاب بعداً تداوليًا فريداً.

وفي بيان ذلك المعنىٰ المقتنَص نتساءل: هل الإحالة إلىٰ قصة موسىٰ إحالةٌ عابرة؟ وهل التشبيه جاء بمحض الصدفة؟ المسألة أبعد من ذلك؛ فثمة تماثل ضمني بين حكاية أبي زيد وحكاية أم موسىٰ، تتمثل في: (مفارقة الولد)، وإذا أردنا أن نكون أكثر دقّة فإننا نقول: (التخلِّي عن الولد)؛ فقد ألقت أم موسىٰ ابنها في اليم، وهجر أبو زيد أم زيد وزيد في بطنها.

فإذا ما تلمَّسنا قرائن أخرىٰ لذلك التماثل الضمني بين الحكايتين وجدنا جملة إنشائية من قول أبي زيد فيما بعد: (يقول لي: **(ألقِ عصاك)** وادخلِ) وهذا اقتباس نصي من قوله تعالىٰ في قصة موسىٰ: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

فكما أن العصا التي ألقاها موسىٰ أمام السحرة تحولت إلىٰ حيةٍ سحرت أعين الناس، فكذلك عصا أبي زيد الذي اعترف علىٰ نفسه بالسحر حين قال في نهاية المقامة تلك:

- **(وإنما لي فنونُ سحرٍ):**

انظر كيف تعالقت الدلالات، وتواترت التماثلات، حتىٰ كأننا أمام سحرٍ كسحر موسىٰ.

وهذا مصداق لقول السكاكي: «ثم إنك ترىٰ المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا علىٰ مقتضىٰ الظاهر كثيراً»[1].

ثم انظر إلىٰ رد الفتىٰ الذي وقف أبو زيد ببابه يستجديه، حين قال له:

(١) مفتاح العلوم، (ص٩٧).

- (وحُرمةِ الشيخِ الذي سنَّ القِرىٰ * وأسسَّ المحجوجَ في أمِّ القُرىٰ)

لا يخفىٰ علينا المعنىٰ الظاهر في هذه الجملة وهو أنه يقسم بالنبي إبراهيم عليه السلام فهو أول من أطعم الضيف حين جاءته الملائكة؛ حتىٰ إنه كُنّي بـ(أبي الضيفان)[1].

ورغم أنها جملة إنشائية إلا أننا جئنا بها في هذا المقام لربطها بالسياق الذي سبقها؛ وهو أن أبا زيد يشبّه قصته - ضمنيًا - بقصة موسىٰ، لنضع أيدينا علىٰ المعنىٰ الخفي الذي يرمي إليه الكاتب، أليس ما حصل مع أبي زيد وزوجته برّة وولدها الذي تحمله في أحشائها، يشبه ما حصل مع إبراهيم وزوجته هاجر وولدها إسماعيل؟! ألم يهجر أبو زيد زوجته وولده ويتركهما كما ترك إبراهيم زوجته وولده بوادٍ غير ذي زرع؟!

أرأيت كيف أتىٰ من كل ما يمتّ لقصته بسبب فجعلها في سياق خطاب واحد لما بينها من المعطيات المشتركة، والسياقات المتشابهة؟! أرأيت كيف أبدع في عرض فكرة التخلِّي عن الولد بربطها بقصص الأنبياء؟! ثم أرأيت كيف حاول أن يُضفي الشرعيَّة علىٰ فعله حتىٰ جعله مماثلاً لفعل الأنبياء، وكل ذلك بطريقة إيحائية غير مباشرة؛ لكي يتعاطف معه السامعون ويحصل منهم علىٰ مبتغاه؟! وشتان ما بين قصته وقصصهم.

إن محاولة تفكيك النص ثم إعادة تركيبه بالتنقيب عن العلاقات الخفية بين عناصره، بل وبين العناصر المشابهة لها في نصوص أخرىٰ، يفضي بنا إلىٰ إدراك جمال النص وبلاغة الخطاب فيه.

ويمضي الكاتب قُدمًا في إثبات ازدواجية أبي زيد وتلوّنه، فيصفه علىٰ لسان الفتىٰ بـ:

- **(الباقعة)** والباقعة: هو الرجل الداهية المحتال[2].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، كتاب آداب الأكل، الباب الرابع، (ص٣٤٧).

(٢) لسان العرب، (٨/ ١٩)، (باب العين فصل الباء).

وأصل (البَقْع): تخالُف اللون، ومنه (سَنَة بَقْعاء) أي فيها خصب وجدب[1].

وهكذا يصرّ الكاتب على خلع صفة التلوّن على أبي زيد؛ لحاجة في نفس يعقوب لما تنكشف لنا بعد.

- ثم إن أبا زيد حين التقى بابنه لم يستطع ضمه إليه، قائلاً إن السبب: **(صَفَرُ يدي)**

وصَفَر اليدين كناية عن الفقر (صَفِرَ صَفَراً: أي خلا)[2]، فأبو زيد خالي اليدين مما يستلزم شدّة فقره.

- ثم إنه فصل عنه بـ **(كبد مرضوضة ودموع مفضوضة):**

فكبد أبي زيد - كما تصرّح العبارة - أضحت مدقوقة دقاً، ودموعه تجري على خديه؛ وذلك يستلزم شدّة الكمد على عدم قدرته على استعادة ولده ذلك الفتى اليافع فصيح اللسان.

حتى أنه أورد المعنى نفسه بلفظ جديد في موضع آخر في قوله: **(صُدُوع كبدي)**؛ ليؤكد المعنى ويثبت في أذهان السامعين شدّة وجده على ولده.

- فلما سأله الحارث وصحبه عن موعد استضمام ابنه رد عليهم بدهاء: (إذا ثقل رُدني خفَّ عليَّ **أن أكفُل ابني):**

فأبو زيد - كما يشير المعنى الظاهر - لم يستطع أن يضمّ ابنه إليه؛ لأن رُدنه خفيف أو فارغ، والرُّدن هو: (أصل الكم) وكان الناس يضعون فيه نقودهم[3].

أما المعنى الذي يستلزمه الحوار فهو أنه فقير معدم لا يملك قوت يومه، وإذا مضينا قُدْماً في اصطياد الدلالات أيقنَّا أنه إنما يرمي إلى شأوٍ أبعد من ذلك؛ إنه يريد استدرار عطف السامعين، ومساعدته بالمال ليستطيع كفالة ابنه كما يزعم.

---

(١) لسان العرب، (٨/ ١٧)، الباب والفصل نفسهما.

(٢) السابق، (٤/ ٤٦١-٤٦٢)، (باب الراء فصل الصاد).

(٣) انظر: محيط المحيط، بطرس البستاني، (٤/ ٨٤).

ذلك ما حصل عليه بالفعل؛ إذ وعودوه أن يجعل كل واحد منهم له نصيباً يجمعونه ويسلمونه له إذا خرج منهم، فانفرجت أسارير أبي زيد وواصل السمر، حتىٰ إن الحارث يشيد ببيان أبي زيد: **(ثم إنه نشر من وَشْي السَّمَر ما أزرىٰ بالحِبَر)**:

(الوَشْي): هو النقش والتحسين، وهو خلط لونٍ بلون[1]، و(الحِبَر) هي البرود اليمانية[2].

ولئن رام الكاتب ههنا إثبات براعة أبي زيد في السرد حتىٰ كأنه ينقش نقشاً تُحتَقَر معه البرود اليمانية الشهيرة بحسنها وجمال نقوشها، فإن ثمة (استلزام حواري) يحاول من خلاله إثبات ما عقد العزم علىٰ إثباته وهو: أن شخصية أبي زيد شخصية مخادعة متلونة محتالة.

لا تزال الازدواجية تشكِّل هاجساً دلالياً يسيطر علىٰ فصول المقامة، ويتلبّس أحداثها، حتىٰ أضحىٰ أيقونة نراها في كل مقام.

وتأتي الجملة بعدها:

- (فقضيناها ليلةً غابت شوائبها إلىٰ أن شابت ذوائبها):

(الشَّوْب): هو الخلط، ويعني الغش والخداع والكذب[3].

لم يعد للقارئ بدٌّ من التسليم بالخداع والتخليط، وحريٌّ به أن يتنبأ به، وأن يهتدي إليه، حتىٰ وإن لم يصرّح به الراوي، ولم يكشف عنه صراحة؛ انظر كيف يتحرّىٰ الكاتب المواضع المناسبة ليحشد فيها ألفاظاً تلمح بالخلط وتشي بالخدعة المبطّنة، حتىٰ لا يكون للقارئ مندوحة عن التسليم واليقين، فإن كان قد خامر ذهنه هاجس ريبة، أو تبقىٰ في ذهنه بقية شكٌّ، فليأخذ القرينة التالية لتثبت له ما لم تستطع القرائن السابقة إثباته:

انظر إلىٰ قوله عن تلك الليلة: **(إلىٰ أن شابت ذوائبها)**:

---

(١) لسان العرب، (١٥/ ٣٩٢)، (باب الواو والياء فصل الواو).

(٢) السابق، (٤/ ١٥٩)، (باب الراء فصل الحاء).

(٣) السابق، (١/ ٥١٠)، (باب الباء فصل الشين).

فالذوائب: جمع (ذؤابة) وهي: الشعر المضفور من شعر الرأس[1]، فالأصل في الشعر السواد ثم إن بياض الشيب يخالطه إذا هرم.

إن تلك القرائن المتتالية للخلط والخداع، تحاول تهيئة السامع لنهاية القصة التي سيتبيّن فيها الخداع والكذب حقيقة واضحة كوضوح الشمس.

يشير الكاتب بقوله: **(ليلة غابت شوائبها)** إلىٰ أن تلك الليلة كانت مشوبة بضوء القمر، ثم إنه لما تناهىٰ الليل، وقرب الصبح، غاب ذلك الشوب الذي أضفاه ضوء القمر؛ حتىٰ بلغ منها السواد مبلغه، ثم يقول: **(إلىٰ أن شابت ذوائبها)**: أي بدأ البياض يخالط سوادها الكالح، والمعنىٰ هنا يستلزم انبلاج ضوء الشمس وبداية النهار، ومع الشمس ينكشف المستور، وتبدأ الحقائق بالظهور.

- **(ولما ذرّ قرنُ الغزالة طمر طمور الغزالة):**

(الغزالة) الأولىٰ: هي الشمس، و(الغزالة) الثانية هي الحيوان المعروف من الظباء[2].

و(قرن الشمس): أول ما يبدو منها في الطلوع[3].

لا شك أن ظاهر الجملة يفيد أن ضوء الصبح باغتهم ووثب عليهم كوثوب الظباء.

ويهمس الكاتب في آذاننا - ضمنًا - أن الصباح بضيائه المشرق كفيل بكشف ما اكتنف الليل من خداع وتخليط، أعانه عليه الظلام المطبق والسواد المستحكم. كما أن دلالة وثوب الصبح عليهم ومباغتته لهم تستلزم أنهم كانوا مندمجين مع أحداث تلك الليلة، منصتين لحكايات أبي زيد فيها بكل حواسهم، مصغين لمغامراته العجيبة طوال ليلهم؛ حتىٰ انقضت ليلتهم ولم يشعروا بها.

(١) لسان العرب، (١/ ٣٧٩)، (باب الباء فصل الذال).

(٢) السابق، (١١/ ٤٩٢ - ٤٩٣)، (باب اللام فيصل الغين).

(٣) السابق، (١٣/ ٣٣٢)، (باب النون فصل القاف).

إن صراع الليل والنهار في الجمل الأخيرة يستلزم معنىً ضمنياً يلمح إلىٰ الصراع القائم في مجمل المقامة بين الكذب والحقيقة؛ فزيف الخداع لا يلبث أن ينكشف أمام نور الحقيقة مهما طال به المقام، تماماً كما يكشف ضوء الشمس سواد الليل وظلمته وديجوره.

انتهت حكاية أبي زيد عن ابنه للحارث وصحبه، واستلم عليها نصاب المال الذي ألّفوه له والتزموا بدفعه إليه، ما ثقل معه رُدنه وأهّله لضمّ ابنه الذي **(استطارت صُدُوع** كِبدِهِ**)** عليه.

لقد وصلوه بالمال، وهذا ما جعل الحارث يصف فعله مع أبي زيد بقوله: **(وصلت جناحه)**: وجناح الإنسان: يده[1]، فهو يريد إيصال معنىٰ أنه أعطاه من المال ما يكفيه؛ حتىٰ: **(برقت أسارير مسرّته)**: «وفي حديث عائشة في صفته ﷺ: (تبرق أسارير وجهه)[2]، قال أبو عمرو: الأسارير: هي الخطوط التي في الجبهة»[3]، وهي كناية عن شدّة الفرح والسرور، حتىٰ كأن البرق يلمع في جبهته. ويشير الراوي هنا إلىٰ السعادة الغامرة التي أصابت أبا زيد جرّاء ما أحرزه من المنفعة، وما طابت به نفسه من العطاء الوفير.

ولو أمعنّا النظر في الوشائج اللغوية التي احتملتها تلك الجمل المتواترة، لأدركنا مغزىً بعيداً يرمي إليه الكاتب؛ فـ(الغزالة) وهي الشمس، و(استطارت)، و(البرق)، و(الجناح)، كلها تلمح إلىٰ السماء التي هي محل الغيب، فكأنه يقول: استودع القومُ نقودهم في علم الغيب، ذلك الغيب الذي لا يلبث عمّا قليل أن ينكشف.

شكره أبو زيد قائلاً: **(جزيت خيراً عن خُطا قدميك)** ولا شك أنه لا يشكره علىٰ خطواته، بل إن ذلك يستلزم شكره علىٰ ما أكرمه به من الحفاوة وحسن الرفادة.

خرج منهم أبو زيد يريد التعرّف إلىٰ ابنه الذي تصدّعت كبده من الحنين إليه، وتبعه

(١) لسان العرب، (٢/ ٤٢٨)، (باب الحاء فصل الجيم).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب القائف، الحديث رقم (٦٧٧٠).

(٣) لسان العرب، (٤/ ٣٥٩)، (باب الراء فصل السين).

الحارث قائلاً:

- (أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب، وأنافثه لكي يجيب):

إن الحارث يريد أن يتبع أبا زيد -فيما يظهر- ليرىٰ هذا الولد الأعجوبة، ويسمع منطقه البليغ، وبيانه الفصيح، أما ما يستلزمه الحوار هنا فهو أن الحارث يريد أن يتبعه ويرىٰ ولده ليتبيّن صدقه، ويتأكد من صحّة ما رواه له ولصحبه، مما دفعوا علىٰ سماعه النقد، واستنفدوا في التفاعل معه الوقت والجهد.

هنا آن للتلوُّن أن يميط اللثام عن وجهه، وللخداع أن يكِّشر عن أنيابه، لقد كشف أبو زيد في نهاية المقامة الحقيقة للحارث واضحةً جلية، وأن حكايته مكذوبة، وأنه لا ابن له ولا زوجة اسمها برّة.. ثم أردف:

- (وإنما لي فنونُ سِحرٍ * أبدعتُ فيها وما اقتديتُ
لم يَحْكِها الأصْمَعيُّ فيما * حكىٰ ولا حاكها الكُميتُ):

يقول: إن حكاياته تشبه السحر، وهي من صميم إبداعه، ولم يقتدِ فيها بأحدٍ قبله كالأصمعي (ت٢١٦هـ) والكميت (ت١٢٦هـ)، أما المعنىٰ المستلزم في هذا البيت فيتمثل بأنه حينما أورد (الأصمعيَّ والكميتَ) أمثلةً علىٰ الأدباء الذين لم ينسج علىٰ منوالهم، ولم يقتدِ بإبداعهم، أراد أن يوصل لنا في رسالة ضمنية: أنه أديبٌ فريد جمع بين الشعر والنثر؛ فالأصمعي مشهور برواية الأخبار والحكايات، والكميت شاعرٌ معروف؛ فكأنه يقول: إنني جامعٌ لفنون القول التي لا يبدع فيها غيري إلا متفرقة.

ولعل في وصفه لفنِّه بالسحر، وأنه يجمع بين الشعر والنثر إشارةً إلىٰ بيت رؤبة (ت١٤٥هـ):

لقد خشيتُ أن تكونَ ساحرا * روايةً مرًّا ومرًّا شاعرا![1]

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، (١/ ٢٧).

ويبدو لنا في خاتمة المقامة أن فحوىٰ النص بمجمله قائمة علىٰ المعاني الضمنية؛ فأبو زيد حين ادّعىٰ أن له ولداً بليغًا مصقعًا، لم يكن يعني به ولد الإنسان الذي من صلبه، وإنما كان يعني النصّ الذي أبدعه من بنات أفكاره؛ فهو يعطي الشرعية لعمله، ويبرّر أخذ المال من الحارث وصحبه، وأنه لم يبتزّه منهم ابتزازاً، ولم يجنِه منهم غَرَراً، وإنما هو حق مشروع له؛ أليسوا قد دفعوا له المال لأجل ولده؟ هاهو قد منحهم خلاصة تجربته ووليدة فكرِه، فخلّدوها في أوراقهم، وسيروونها لرفاقهم، وما أخذه منهم هو حقٌّ له عليهم؛ فقد تجشم عناء الحكاية، وأبدع في فنون الرواية، فنال بذلك – بزعمه – حق الكسب في النهاية.

الدلالات الاستلزامية للجمل الإنشائية في خطاب المقامة الكوفية:

قد يخرج الإنشاء عن معناه الأساسي لأغراض يفرضها السياق كالدعاء والتمني والتهديد[1]، ومن ذلك:

– خروج الأمر إلىٰ الدعاء مثل: (ربِّ اغفر لي) أو الإرشاد مثل: (كل بيمينك)، أو الالتماس مثل: (أعطني فرصة)، أو الإكرام مثل: (تفضَّل)، أو التمني مثل: (يا سماء أمطري) وغير ذلك من الدلالات.

– خروج النهي إلىٰ الدعاء مثل: (ربنا لا تكلنا إلىٰ أنفسنا)، أو الإرشاد مثل: (لا تشمت بأخيك)، أو الالتماس مثل: (لا تتركني وحدي)، أو التمني مثل (يا شمس لا تغيبي)، وغيرها من الدلالات.

– خروج الاستفهام إلىٰ التعجب مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠]، والنفي مثل قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، والتمني مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣]، والأمر مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ أَنتُم

(١) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، (ص١٤ – ١٥).

مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، والنهي مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ﴾ [التوبة: ١٣]، والتسوية مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، وغير ذلك من الدلالات.

- خروج النداء إلىٰ الإغراء كقول المتنبي لسيف الدولة:

(يـا أعـدل النـاس إلا في معـاملتي ❋ فيك الخصام وأنت الخصم والحكم)[1]

أو إلىٰ التذكر كنداء الأطلال والمنازل كقوله:

(لـكِ يـا منـازل في القلـوبِ منـازلُ ❋ أقفـرتِ أنـتِ وهـنَّ منـكِ أواهـلُ)[2]

أو الندبة كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ [الزمر: ٥٦]، أو التوبيخ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾ [هود: ٦٢]، أو التعجب كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ﴾ [يس: ٣٠]، وغيرها من الدلالات.

- إن «ربط الدلالات التحويلية للطلب بتخلف شرط من شروط إجرائه علىٰ الحقيقة فكرة تراثية من شأنها... أن تمثّل نظرية متكاملة قادرة علىٰ تفسير ظاهرة التحويل الدلالي»[3].

ومما جاء في المقامة من الجمل الإنشائية التي احتوت علىٰ (استلزام حواري) ما يلي:

- (يا أهل ذا المغنىٰ) و(يا أهل هذا المنزل):

يستلزم من النداء في هذا الموضع أن قصد المنادي: (الالتماس)؛ حيث يناديهم بغرض أن يلتمس منهم الإيواء وتقديم القرىٰ، وأعان علىٰ إدراك ذلك القصد ما ورد في السياق اللغوي من مفردات تناسب المعنىٰ كقوله يصف نفسه لأهل المغنىٰ: (شعثًا، مغبرّا، أخا سفار، معترّا، يبغي قرىً ومستقرّا)، وقوله يصف نفسه لأهل المنزل: (ابن سبيل، مرمل، نضو سرىٰ، خابط ليل، ما

(١) ديوان المتنبي، (ص٣٢٥).

(٢) السابق، (ص٢٩٦).

(٣) تحويلات الطلب ومحددات الدلالة (مدخل إلىٰ تحليل الخطاب النبوي الشريف)، حسام أحمد قاسم، (ص٧).

ذاق مذ يومين...)، وعزّز لذلك ما رافق الخطاب من السياق غير اللغوي؛ فحالته كانت كما ذكر.

- **(والذي أحلّني ذراكم)** لا تَلمّظتُ بقراكم، أو تضمنوا لي ألا تتخذوني كَلاًّ، ولا تَجَشَموا لأجلي أكلاً:

يقسم أبو زيد هنا بالله الذي قدَّر أن يحلَّه ضيفـًا في ذراهم، ويقول قولاً يفيض بالعفّة وعزة النفس: أسأل الله ألا (يلمّظني) أي: يذوّقني[1] قراكم، إلا إن ضمنتم لي ألا تجعلوني ثقيلاً عليكم، ولا تتكلّفوا لأجلي.

ومن يكمل قراءة المقامة يظهر له أن لأبي زيد في هذه المقالة مقاصد خفية تتوارىٰ خلف هذا القسم الماكر؛ فلقد أثقل عليهم أيما إثقال، وكلّفهم من أموالهم ما أخذه بالحيلة والدهاء، ولم يكن هذا القسم سوىٰ جسر يمرِّر عليه خبثه ومكره.

- (أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك):

خرج الأمر في هذه الجملة من معناه إلىٰ معنىٰ يستلزمه الحوار وهو (الرجاء)؛ فالحارث يرجو من أبي زيد أن يتحفهم بغريبة من غرائبه، وليس المقام مقام أمر، فأبو زيد لا يزال في نظره الرجل المهذّب، البالغ الغاية في الأدب والفصاحة.

- (ما عندكم لابنِ سبيل مُرملِ؟):

ظاهر الجملة أن أبا زيد يطلب القِرىٰ لعابر سبيل نفد زاده، فيقول مستفهمـًا: (ما عندكم له؟)، أما المعنىٰ الذي يستلزمه الاستفهام هنا فهو: (الالتماس)؛ إذ إن الدلالة العميقة للاستفهام تعني: (ما عندكم لي؟)، فابن السبيل، وضمائر الغائب التي احتواها الخطاب بعده وهي عناصر إشارية تحيل علىٰ المرجع نفسه وهو (ابن السبيل)، كلها يُقصد بها المتكلم، وقد أعانت علىٰ إدراك هذا المعنىٰ الضمني قرائن متعددة وردت في سياق الخطاب منها:

---

(١) لسان العرب، (٧/ ٤٦١)، (باب الظاء فصل اللام).

حالة المتكلم الغريب الرثّة وموافقتها لحالة ابن السبيل المذكور، وكون الموقف الذي وقع فيه الخطاب موقف ذلٍ وانكسار حالت فيه أنفة المتكلّم دون التصريح بشخصه؛ فلجأ لتوظيف استراتيجية (الاستلزام الحواري) للإحالة علىٰ هذا المعنىٰ الضمني، وإفهام المخاطب قصده بكفاءة تداولية مدعّمة بالقرائن، مع الحرص علىٰ عدم إكراه المخاطب وإحراجه.

ومن وجهة نظر أخرىٰ قد يكون المتكلم آثر العدول عن ذكر اسمه صراحةً للتأثير في السامع، وجعل الأمر في يده إن شاء أمضاه وإن شاء أحجم عنه؛ فإنه لو قال: (ما عندكم لي؟) لجعل لنفسه سلطة توجيهية علىٰ المخاطب قد تمنعه من تنفيذ التوجيه، بخلاف ما إذا جعل السلطة – ضمنيًا – في يد المخاطب، يفعل ما يشاء، ولا شأن للمتكلم.

لقد أراد المتكّلم التملُّص من مسؤولية الخطاب، وهذا ما يجعل الخطاب – علىٰ حد قول (براون) و(ليفنسون) – يحتمل تأويلات عدة[1].

– (فهل بهذا الربعِ عَذبُ المَنهَل؟):

خرج الاستفهام هنا من معناه إلىٰ معنىٰ يستلزمه الحوار وهو (الاستعطاف)؛ فأبو زيد يستجدي الفتىٰ، ويريد أن يستدرَّ عطفه فيكرمه بالطعام، لا أن يجيب عن سؤاله، فلو كان المعنىٰ المقصود الاستفهام لا غير لكانت الإجابة بـ(نعم) أو (لا) كافية، وهو ما لا يصدّقه المقام، فما يفعل أبو زيد إن أجابه الفتىٰ بإحداهما؟!

– ثم أردف بـ: يقول لي: **(ألقِ عصاكَ):**

المعنىٰ الظاهر لها هو الأمر بإلقاء العصا، ولكنها تستلزم معنىٰ آخر توحي به هذه الصيغة؛ إذ إن معنىٰ: «ألقىٰ المسافر عصاه: بلغ موضعه وأقام؛ لأنه إذا بلغ ذلك ألقىٰ عصاه فخيّم أو أقام وترك السفر»[2].

(١) استراتيجيات الخطاب، (ص٣٧٢).

(٢) لسان العرب، (١٥/ ٦٥)، (باب الواو والياء، فصل العين).

- وكذلك ما تلاه من أفعال أمر وهي: **(وادخلِ) (وأبشر)** فهي لا تعني الأمر وإنما خرج فيها إلىٰ معنىٰ يستلزمه الحوار وهو: (الإكرام).

- (وحُرمةِ الشيخِ الذي سنَّ القِرىٰ * وأسسَّ المحجوجَ في أمِّ القرىٰ):

يقسم الفتىٰ هنا بحُرمة النبي إبراهيم عليه السلام الذي سنّ إكرام الضيف، وأسس قواعد البيت الحرام في (أم القرىٰ)، وكان يفترض أن يكون القسم بالله تعالىٰ، إلا أن الفتىٰ قصد بالقسم بإبراهيم عليه السلام تعظيمه، وبيان حرمته في نفسه، وجلالة قدره عنده، وإقراره بفضله في سنِّ إكرام الضيف، وبناء بيت الله للمؤمنين، وأنه علىٰ الرغم من اعترافه بكل ذلك، يقف عاجزاً عن اتِّباع سنته، والاقتداء بنهجه في إكرام ضيفه؛ لفقره وقلة ذات يده، فهو إنما ساق هذا القسم معذرةً له عن التقصير في حق ضيفه مع إقراره بوجوبه. ويبالغ في الاعتذار فيقول:

- (وكيف يُقري من نَفىٰ عنهُ الكَرىٰ * طوىً برىٰ أعظُمهُ لمّا انبرىٰ؟):

أي كيف يُضَيِّفُ الضيفَ من لا يستطيع النوم من الجوع الذي برىٰ عظامه وجعلها هزيلة؟!

والاستفهام هنا خرج من معناه الأصلي إلىٰ معنىٰ: (التعجّب)؛ فهو يتعجّب: كيف أضيِّفك وأنا لم أنم من الجوع الذي برىٰ عظامي؟! فيكنّي عن شدة جوعه بانبراء عظامه، كأنه يقول: لا أجد ما أَطْعَم فكيف أُطْعِم؟!

- (فما ترىٰ فيما ذَكرتُ ما تَرىٰ؟):

أي لقد سقت من المبررات ما اعتذرت به عن التقصير في حقّك، فما ترىٰ في قولي؟! فالفتىٰ يستحثّ أبا زيد من خلال الاستفهام علىٰ التماس العذر له، ويريد منه رداً شافياً، يفيده بأنه تفهَّم موقفه، وقبل اعتذاره.

- وكان رد أبي زيد باستفهام آخر: **(ما أصنع بمَنْزِلٍ قَفْر؟!):**

وهو لا شك لا يعني الاستفهام حقيقة، وإنما أراد (التعجب) فكأنه يقول: عجيب أن أطلب بغيتي في بيت لا طعام فيه.

- **(فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذا العجاب؟):**

خرج معنىٰ الاستفهام هنا إلىٰ معنىٰ (التقرير) الذي يستلزمه الحوار؛ فكأنما أبو زيد يقول: (تلك أعجب العجيبات)، بدليل ردّهم عليه مباشرة: **(لا ومن عنده عِلمُ الكتاب)!**

- مما حدا به إلىٰ قول: **(أثبتوها في عجائب الاتّفاق، وخلّدوها في بطون الأوراق):**

وليس المقصود ههنا الأمر بمعناه الحرفي وإنما قصد (الإرشاد)؛ فهو يرشدهم إلىٰ إثبات عجيبته في أوراقهم ليروووها لمن خلفهم، فلا أصدق من رواية من فم صاحبها، ولا أحفظ لها من كتابتها، فكتبوها في أوراقهم، ثم سألوه إن كان يقنعه أن يجمعوا له مالاً ليقوىٰ به علىٰ ضم ولده فقال:

- **(وكيف لا يُقنعُني نِصاب، وهل يحتقر قَدرَهُ إلا مُصاب؟):**

خرج الاستفهام ههنا إلىٰ (التعجب) فكأنه يقول: أعجب ألا يقنعني عطاؤكم، وأقدح في عقل من يحتقر قدركم. ثم قال للحارث مستحثًا إياه للقيام معه لقبض المال:

- **(انهض بنا لنقبض الصِّلات):**

(انهض) فعل أمر، ولكنه خرج إلىٰ معنىٰ (الالتماس) فالمأمور أعلىٰ منزلة من الآمر، وهو صاحب المنّة بالعطاء، والمتفضّل عليه بالمال، فليس المقام مقام أمر علىٰ الحقيقة.

- ثم قال في آخر المقامة: **(يا من تظنّىٰ السرابَ ماءً):**

يقول: يا من بلغ بك الظمأ مبلغه حتىٰ خُيِّل لك حين رأيت السراب أنه ماء، حتىٰ إذا وصلت إليه بانت حقيقته وانكشف خداعه. لم يقصد أبو زيد نداء الحارث هنا وإنما استلزم الحوار أن يكشف له وهمه، ويجلو له ما وقع في خلده، ويعترف بحقيقة كذبه وادعائه، كما يظهر للمرء خداع السراب وزيفه.

لقد كشف أبو زيد في النهاية الحقيقة للحارث واضحةً جلية بجملة قسم:

(واللهِ مـــا بَـــرَّةٌ بِعِرْســـي * ولا لـــيَ ابـــنٌ بـــه اكتنيـــتُ
وإنمـــا لـي فنـــونُ سِـــحرٍ * أبـــدعتُ فيهـــا ومـــا اقتـــديتُ)

وذلك هو السحر الذي أشرنا إليه عند ذكر قوله: (ألقِ عصاك).

لقد خرج القسم في هذا الموضع عن معناه الحقيقي إلىٰ معنىٰ: (التهكُّم والسخرية)، والتي اعتذر عنها في نهاية المقامة قائلاً:

- **(فمهِّدِ العذرَ أو فسامِحِ):**

لم تكن صيغة الأمر هنا في نهاية المطاف سوىٰ: (اعتذار) عن صنيعه الذي لا يُرتضىٰ، حتىٰ إنه مضىٰ، موْدِعاً قلب صاحبنا: جمرَ (الغضىٰ) وهو شجر توقد منه النار وتبقىٰ فيه طويلاً[1]، ما يستلزم معه بلوغ الغاية من الكمد والحرقة، كبلوغ النار في عود الغضا واستدامتها فيه.

تطبيقات علىٰ المبادئ التخاطبية المؤدية إلىٰ المعاني الضمنية في المقامة الكوفية:

أولاً: (مبدأ التعاون): كانت المواضع التي التزم فيها المتحاورون بهذا المبدأ قليلة؛ فالمقامة تعتمد في المجمل علىٰ الإطناب والكذب والمبالغة والغموض والمراوغة، وهو ما يخرق هذا المبدأ، ومن تلك المواضع القليلة:

١- **الكم:** قول الفتىٰ: (اسمي زيْدٌ، ومَنشئي فَيْدٌ، ووَردتُ هذِهِ المَدَرَةَ أمْسِ، معَ أخْوالي منْ بَني عبْس) فالمعلومات محددة ليس فيها زيادة ولا نقصان.

٢- **الكيف:** (فعلِمْتُ بصِحّةِ العَلاماتِ أنّه ولَدي) حيث لم يقل إنه ولده إلا بعد ثبوت الحجة.

٣- **العلاقة:** (شَرُّ الأضْيافِ مَنْ سامَ التّكليفَ، وآذَىٰ المُضيفَ) فهو مقال مناسب للمقال.

٤- **الأسلوب:**

(واللهِ مـــا بَـــرّةٌ بعِرْســـي * ولا لـــيَ ابـــنٌ بِـــهِ اكتَنَيْـــتُ)

قالها بوضوح بلا غموض أو إلباس.

(١) لسان العرب، (١٥/ ٦٥)، (باب الواو والياء، فصل العين).

أما خروقات هذا المبدأ فكثيرة منها:

١- الكم:

- قول الحارث في وصف رفقته: (مع رفقةٍ غذوا بلبان البيان، وسحبوا على سحبان ذيل النسيان، وما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه، ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه)؛ فلو قال: رفقة أدباء لطفاء، أو تعبيراً قريباً من ذلك، لكان كافياً، ولكنه إنما أراد أن يبالغ في وصف بلاغتهم وأدبهم، ويخلع عليهم رداء ضافياً من الفصاحة والبيان.

- قول أبي زيد:

(فدونكم ضيفاً قنوعاً حرا ❋ يرضى بما احلولى وما أمَرَّا)

فالشطر الثاني حمولة لفظية زائدة على الحوار، وليس فيه حمولة دلالية جديدة، وإنما أراد به أن يبالغ في ادّعاء القناعة، والرضا بأي شيء مهما كان محتقَرا.

- قول الحارث: (فكأنه اطَّلَع على إرادتنا، فرمى عن قوس عقيدتنا)؛ فالعبارتين تحيلان إلى المعنى نفسه، وهو أن أبا زيد علم ما في ضمائرهم، ولكنه كرّر المعنى اعترافاً بفضل أبي زيد في التماس التخفيف، وتجنُّب الإثقال.

- وقوله: (أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك، وعجيبة من عجائب أسفارك)؛ فالألفاظ مترادفة أو شبه مترادفة، ولا تعطي أحدها دلالة فوق الأخرى، ولعلنا نتلمّس سبب ورودها، بأن قصد الحارث: الإلحاح على أبي زيد بسرد أخباره الطريفة.

- قول أبي زيد: (ما لم يَرهُ الرَّاؤون، ولا رَواهُ الرَّاوُون)؛ فكلاهما تعني أن عجائبه مما لم يُطَّلع عليه برؤية أو سماع، ويكفي ذكر معنى جامع لهما، ويبدو أنه إنما ساق تلك العبارات لاستعراض قدرته اللغوية في الجناس والطباق.

- وقوله: (ما عندكم لابن سبيلٍ مرملِ ❋ نضو سُرىً خابط ليلٍ أَليلِ
جوى الحشى على الطوى مُشتملِ ❋ ما ذاقَ مذ يومانِ طعمَ المأكلِ)

فلو اكتفىٰ بوصف عام لابن السبيل لكان المعنىٰ واضحاً، ولكنه أراد أن يُشبع عباراته بالأوصاف التي يستدرّ بها عطف السامع؛ لينال منه بغيته.

٢- الكيف:

المقامة كلها قائمة علىٰ خرق هذا المبدأ؛ فأحداثها مكذوبة اختلقها أبو زيد واعترف بكذبها في النهاية، ومن الأمثلة التي اتضح فيها خرق هذا المبدأ:

- قول أبي زيد: (فدونكم ضيفاً قنوعاً)؛ حيث اتضح كذبه فيما بعد، وأنه متطفّلٌ طمَّاعٌ محتال.

- وقوله: (والذي أحلني ذراكم، لا تَلمّظتُ بقراكم، أو تضمنوا لي ألا تتخذوني كَلاًّ، ولا تَجَشَموا لأجلي أكلاً)؛ ولقد أثقل عليهم أيما إثقال، وباغتهم بصنوف المكر والاحتيال.

- وقوله عن عجائبه: (إن من أعجبها ما عاينته الليلة قُبيلَ انتيابكم ومصيري إلىٰ بابكم)؛ وهذا القول مع ما تلاه من تفاصيل الحكاية كان محض كذب وافتراء.

- وفي قوله: (علمتُ بصحة العلامات أنه ولدي) ادعاء لا دليل عليه، ولو كان في الحارث وصحبة فطنة لتنبّهوا، ولطلبوا الحجة والبرهان، كأن يأتوا بالولد ويستبينوا رسمَه، أو يسألوا عن صدق الحديث أمَّه.

٣- العلاقة:

- قول أبي زيد يصف نفسه: (مثل هِلالِ الأفقِ حين افترّا)، فغالباً ما تكون العلاقة عند التشبيه بالقمر أو الهلال أو النجوم عموماً هي: الجمال، والإشراق، والنضارة، أما وقد شبّه نفسه بالهلال لانحنائه، فذلك خرق لمبدأ العلاقة، وفيه استلزام ينبئ عن خبث مقصده، بدليل القرينة اللفظية: (افترّ) التي هي غالباً ما تنبئ عن خدعة ما، ألا ترانا في بعض السياقات نقول: (افترّ ثغره عن ابتسامة مخادعة)؟ ثم إن جذر الكلمة يدل علىٰ الرَّوَغان والهرب[1]، ويدل علىٰ

(١) لسان العرب، (٥/ ٥٠)، (باب الراء فصل الفاء).

الانكشاف[1]، فهو يرمي إلىٰ المراوغة والهرب منهم في البداية، ثم لا مناص عن الانكشاف في النهاية.

- المثل الذي ساقه أبو زيد: (خير العشاء سوافره)، وسوافره تعني: ما أُكل بضوء النهار، وتشير العبارة إلىٰ أنه يحب أن يتناول العشاء مبكراً، وهذا مقال لا يناسب المقام، فالوقت الذي ألمّ به هو الليل، فيكون المعنىٰ المستلزم هو: أنه يريد الأكل ولا غير، وحيث إن كلامه وقع في الليل جاء بهذا المثل الذي يخالف هواه المتشوق للأكل، ليثبت لهم سلامة نيته وعفّة نفسه. ولو أمعن الحارث وصحبه بألفاظه وقرؤوا دلالاتها الخفية لعلموا أن السَّفْر هو: الانكشاف أيضاً[2]، لقد حشد الألفاظ التي تدل علىٰ مراوغته وتلونه وأردفها بألفاظ الانكشاف؛ ما تظهر معها شخصيته الملتوية المخادعة.

- واستدراكه فوراً: (إلا أن تقِد نار الجوع، وتحول دون الهجوع):

فالمرء إن أوقدت عليه نار الجوع، حتىٰ حالت بينه وبين النوم، فلا جناح عليه بالأكل ليلاً، وههنا يرمي إلىٰ معنىٰ ضمني وهو: التماس مخرج منطقي له إن أكل في الليل، فهو يتظاهر أمامهم بمظهر الحكيم الذي لا يخالف قوله فعله.

- فعل أبي زيد: (ضحك حتىٰ تغرغرت مقلتاه بالدموع)؛ فالمقام ليس مقام ضحك، ولكن نسيج العنكبوت تمزق هنا، وشرع المكر بشد الرحال، وازدواجية أبي زيد التي تلمّسناها من أول النص إلىٰ آخره وظللتنا بروحها تجسّدت بمزج الضحك بالدموع، والحقيقة بالوهم.

٤- الأسلوب:

- قول الحارث: (سمعنا من الباب نبأة مُسْتَنْبِح)، وتدلّ صيغة (اسم الفاعل) من (نبح) أنه كلب؛ ولكن تبين لنا بعدها مباشرة أنه رجل غريب، وأصل الكلمة: أن الرجل إذا استنفد جهده

(١) مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، (٤/ ٤٣٨)، (باب الفاء وما بعدها في المضاعف والمطابق).

(٢) السابق، (٣/ ٨٢)، (باب السين والفاء وما يثلثهما).

ليلاً في الصحراء، نبح كالكلاب؛ فإن كان قريباً من قوم نبحت كلابهم لنباحه، فسمعها ثم قصد الحي الذي هي فيه[1]. وقد أنجدنا السياق غير اللغوي والمعرفة المشتركة بتأويل ذلك الخرق، وهو أن الرجل قد ضلّ طريقه.

- وقوله: (وأبو زيدٍ مُكبٌّ علىٰ إعمال يديه)، لا يشي المعنىٰ الظاهر لهذه العبارة بماذا يُعمل أبو زيد يديه؟ فالغموض يكتنفها، خاصة وأنه ليس في الجمل السابقة أي قرينة لفظية تدل علىٰ الأكل، بل بالعكس تدل القرائن السابقة علىٰ كراهته للأكل في الليل، وترفُّعه عن الإثقال عليهم. ولكن اتّضح فيما بعد أنه إنما كان يُعمل يديه في الأكل، حتىٰ طلب أن يرفع عنه.

- قوله: (فهل بهذا الربعِ عَذبُ المَنهَلِ؟) فكلمة (عذب المنهل) فيها غموض، وتلبس علىٰ القارئ، فالمعنىٰ الظاهر لها أنه يطلب منهلاً عذباً، والمنهل هو: المشرب[2]، واتضح في الجملة بعدها أنه يطلب إنساناً كريم الصفات؛ حيث قال بعدها مباشرة: (يقول لي: ألقِ عصاك وادخلِ).

- قوله: (فَبرَزَ إلي جَوذر) فالسامع لأول وهلة يلتبس عليه الأمر، ويظن أن الذي برز له (جَوْذَر) وهو: ولد البقرة[3]، ولا يتضح له المعنىٰ الضمني بأنه إنسان إلا من سياق الجملة التي بعدها: (عليه شَوْذر)؛ فالشَّوذر: هو الإزار[4]، ولا يرتديه إلا إنسان.

ثانياً: (مبدأ التأدب):

١- التعفّف: في حين تظاهر الضيف المُلِمّ بالحارث وصحبه بالتزامه بهذا المبدأ حين قال لهم وهو بالباب:

---

(١) لسان العرب، (٢/ ٦١٠)، (باب الحاء فصل النون). وانظر: شرح المقامات الحريرية، أحمد بن عبدالمؤمن القيسي الشريشي، (ص١٩٥).

(٢) لسان العرب، (١١/ ٦٨١)، (باب اللام فصل النون).

(٣) السابق، (٤/ ١٢٤)، (باب الراء فصل الجيم).

(٤) السابق، (٤/ ٤٠٠)، (باب الراء فصل الشين).

(فَـــدونَكُمْ ضَـــيْفاً قَنوعـــاً حُـــرّا * يرْضَـــىٰ بمـــا احْلَـــوْلىٰ ومـــا أمَـــرّا)

مما يستلزم معنىٰ ضمنياً وهو الاستجداء، فإنه قد أخلّ به حين كشف حاله المزرية لهم؛ كوصفه نفسه بـ: (ابنِ سَبيلٍ مُرمِلٍ، نِضْوِ سُرًىٰ خابِطِ لَيْلٍ أَلْيَلِ، جَوِي الحَشىٰ علىٰ الطّوىٰ مُشتَمِلٍ، ما ذاقَ مذْ يومانِ طعمَ مأكَلِ...) وقوله في خاتمة المقامة: (وإنّما لي فُنونُ سِحرٍ، أبدَعْتُ فيها وما اقتَدَيتُ... تَخِذْتُها وُصلَةً إلىٰ ما تَجْنيهِ كَفّي متىٰ اشتَهَيْتُ) قالها دون مواربة أو استحياء.

٢- التودّد: لم يزل أبو زيد متظاهراً بالتزام الود، ولم يترفّع بخطابه رغم ما يمتلكه من أدوات الفصاحة والبيان، ولم يزل الحارث كذلك، فلطالما أظهر الود له والأنس به؛ يناديه بكنيته (أبي زيد)، ويصرّح له بسمو خلقه من خلال الفعل (أثنىٰ): (وأثْنَينا علىٰ خُلُقِهِ السّبْطِ)، بل ولقّبه بـ: (المَغْنَم البارِد)، ولكن أبا زيد لم يلبث أن أخل بهذا المبدأ في نهاية المقامة حين كشف له عن خداعه ومكره.

٣- التشكّك (التخيير): كان الحوار ملتزماً بهذا المبدأ، كقول أبي زيد للحارث تعبيراً عن رغبته بقبض المال: (وكيْفَ لا يُقْنِعُني نِصاب؟) وقوله للفتىٰ: (ما عندكُمْ لابنِ سَبيلٍ مُرمِلٍ؟) و(فهلْ بهَذا الرَّبعِ عذبُ المنهَلِ؟)، ولكنه خرق هذا المبدأ في خاتمة المقامة كقوله للحارث: (انْهَضْ بِنا لنَقبِضَ الصِّلات)، فالفعل (انهض) حمل دلالة كثيفة علىٰ الإجبار وعدم الاختيار.

ثالثاً: (مبدأ التواجه):

يتجلّىٰ الوجه الجالب حين أراد أبو زيد أن يعترف له المخاطبون بحسن فعله إذ قال بعد دخوله: (لا تتّخِذوني كَلاًّ، ولا تجَشّموا لأجْلي أكْلاً)؛ فهو يرمي إلىٰ معنىٰ مستلزم مفاده أنه يحاول - طاقته - أن يحفظ ماء وجه المخاطبين، وهذا ما تأتّىٰ له بالفعل بدليل قول الحارث تعليقاً علىٰ ذلك: (فكأنّهُ اطّلعَ علىٰ إرادَتِنا، فرَمىٰ عنْ قوْسِ عَقيدَتِنا). في حين يظهر الوجه الدافع الذي يريد دفع اعتراض الغير علىٰ فعله بقوله مثلاً في خاتمة المقامة:

(فمهّـــــدِ العُـــــذْرَ أو فـــــسامِحْ * إنْ كُنـــتُ أجرَمْـــتُ أو جنَيْـــتُ).

رابعًا: (مبدأ التأدب الأقصىٰ):

من الأمثلة التي احترمت مبدأ **اللباقة** قول أبي زيد للحارث وصحبه محاولاً كسب ثقتهم بأنه بعد استضافتهم له سوف: (ينثَني عنْهُمْ ينُثّ البِرّا). ومن الأمثلة التي اخترقت هذا المبدأ ضربُه لتلك الثقة عرض الحائط حين ظهر المعنىٰ الذي استلزمه حواره السابق معهم باعترافه في نهاية المقامة بأنه لو لم يخدعهم لما حصّل ما حصّل، بقوله:

(ولـــــوْ تَعافَيتُهـــــا لحالَـــــتْ ❊ حـــالي ولـــمْ أحْـــوِ مـــا حوَيْـــتُ).

ومن أمثلة احترام مبدأ **السخاء** تظاهر أبي زيد بخسارته لِذَاته وملذّاته حين قال لمستضيفيه: (لا تجَشّموا لأجْلي أكْلاً) ولكنه ربح ذاته في النهاية، وهذا الربح هو المعنىٰ الخفي الذي تسربلت به كل سياقات المقامة.

ومن الأمثلة التي احترمت مبدأ **الاستحسان** قول الحارث عن أبي زيد: (ليهْنَأكُمُ الضّيفُ الوارِدُ، بلِ المَغْنَمُ البارِدُ، فإنْ يكُنْ أفَلَ قمَرُ الشِّعْرَىٰ فقدْ طلَعَ قمَرُ الشِّعْرِ، أوِ استَسَرّ بدْرُ النّثْرَةِ فقدْ تبلّجُ بدْرُ النّثْرِ)، في حين خرق قوله عنه في الختام: (أوْدَعَ قلْبي جمْرَ الغَضا) هذا المبدأ بعد أن اكتشف المعنىٰ المستتر خلف أدبه المصطنع.

ومن الأمثلة التي احترمت مبدأ **التواضع** قول أبي زيد يذم نفسه بالفقر: (وصدَفَني عنِ التّعرُّفِ إليْهِ صَفْرُ يدي) ولكنه يخرق هذا المبدأ حين يمدح نفسه كقوله يصف نفسه: (قَنوعًا حُرّا) وقوله: (وإنّما لي فُنونُ سِحرٍ)، فأبو زيد في تعاطيه مع مبدأ التواضع إنما يتعاطىٰ معه لغرض خفي يرمي إليه؛ فحيثما تحقق الغرض فلا غضاضة عنده في الأخذ بالمبدأ من عدمه، والغرض المستلزم هو استعطافهم ونيل جداهم، فإن كان وصف نفسه بالقناعة سييسّر سبيله للنوال فحيهلا به، وإن كان وصفها بالفقر سيأخذ بيده إلىٰ مراده فلا حرج.

وسارت المقامة إلىٰ قريبًا من نهايتها محترمة مبدأ **الاتفاق** ولم يحصل الاختلاف إلا في نهايتها كما تبين.

وكذلك الأمر مع مبدأ **التعاطف** حيث كان حاضراً بقوة في فصول المقامة، ولم يبسط التنافر أجنحته، وتشمّر الشماتة عن ساعديها إلا في النهاية، حين نظر أبو زيد إلىٰ الحارث (نظْرَةَ الخادِعِ إلىٰ المَخْدوعِ، وضحِكَ حتىٰ تغَرْغَرَتْ مُقلَتاهُ بالدّموعِ) ثم أفصح عن المعنىٰ الذي كان يضمره، وصرّح بأنه كان يظهر لهم التعاطف تقيةً، وأنه لا ذنب له في أن صدّقوه بلا بينة؛ ولم يكن يظن أن مكره سيصمد حتىٰ بلوغ غايته ونيل مناه:

(ما خِلْتُ أنْ يستَسِرّ مَكري * وأنْ يُخيلَ الذي عنَيْتُ).

***

الخاتمة

يشكِّل خطاب المقامات فضاءً رحبـًا للدراسات التداولية، لما يكتنفه من مقاصد خفيَّة ومعلنة، ولحمله قيمـًا اجتماعية وتنوُّعات ثقافية جعلته قريبـًا من الواقع، ومحبَّبـًا للأسماع، وقد وقعنا فيه علىٰ مواضع عديدة جديرة بالبحث والدراسة، وذلك بالاستعانة بالآليات التداولية التي تتيح للباحثين الانغماس في نصوص التراث، واستنطاق دلالاتها، والتنقيب عن روائعها ونفائسها.

وقد خلصت الدراسة إلىٰ جملة من النتائج، منها:

١- عناية العرب الأوائل بالجانب الاستعمالي للغة، وهو ما اصطُلح عليه حديثـًا بـ(التداولية)، ووجود مفاهيم قريبة من المفاهيم الحديثة، خاصة عند علماء النحو والبلاغة والأصول، ووردت بمصطلحات عدة كالمعاني الثواني، والمعاني الفرعية، ومعنىٰ المعنىٰ، والكناية، وخروج الكلام عن بابه...

٢- علو كعب (السكاكي) في الوعي بظاهرة (الاستلزام الحواري) وإن لم يصطلح عليها، وتشابه إسهاماته مع طرح (غرايس) إلىٰ حد كبير.

٣- سيطرة الخطاب النفعي في نص المقامة؛ فأبو زيد السروجي بطل الحكاية يحاول التأثير في المستمعين، ونيل المنفعة، مما حدا به إلىٰ توجيه دفة الخطاب بالاتجاه الذي يخدم تلك المنفعة، بتوظيف الاستراتيجية التلميحية عن طريق (الاستلزام الحواري).

٤- غلبة المعاني غير المباشرة علىٰ نص المقامة، وهذا راجع إلىٰ اعتماد نصوص المقامات علىٰ التلميح بدل التصريح، والخيال بدل الحقيقة.

٥- ثمة آليات تشرِّع للمتكلم خرق مبدأ التعاون، وتعين علىٰ فهم المعاني غير المباشرة؛ كالافتراض المسبق والمعرفة المشتركة.

٦- فاعلية السياق بعناصره كالمكان والزمان والعلاقات الفيزيائية بين المتخاطبين والقناة والأسلوب... في حصر التأويلات الممكنة وتأييد أحدها واستبعاد الآخر.

٧- انسيابية الانتقال من المعنىٰ الحرفي إلىٰ المعنىٰ المستلزم داخل المقامة، بمساندة اللغة والاستدلالات العقلية التي تتيح للمخاطب استنتاج المعنىٰ المراد.

٨- براعة الكاتب في إثبات ازدواجية بطل المقامة، مما شكّل هاجساً دلالياً سيطر علىٰ فصولها، وتلبّس أحداثها، وأصبح أيقونة تتجلىٰ في كل مقام.

٩- كثرة الأفعال الخبرية والتقريرية، وقلة الأفعال التعبيرية، وهذا ناتج عن طبيعة المقامات التي تعتمد علىٰ السرد والأخبار والحوار، ولا تحفل كثيراً بمشاعر المخاطب أو انفعالاته وتعابيره.

١٠- خروج الخبر إلىٰ الإنشاء، والإنشاء إلىٰ الخبر كثيراً في نص المقامة، مما أنتج معاني مستلزمة، أعان علىٰ فهمها السياق اللغوي وغير اللغوي.

١١- فاعلية المبادئ التخاطبية في بيان المعاني الضمنية، والتي أفضت إلىٰ تعاون مشترك بين أطراف الخطاب لتحقيق التواصل الفعّال، وبلوغ القصد، وخلق بنية تفاعلية متينة.

*** التوصيات:**

لا يزال المجال مفتوحاً لبذل المزيد من الجهد في استجلاء مظاهر (الاستلزام الحواري) والظواهر التخاطبية الأخرىٰ، والكشف عنها سواء في التراث، أو في المدوّنات المعاصرة؛ لما فيها من تدريب علىٰ إعمال الذهن في استنطاق النصوص، واستكناه المقاصد، وتقليب الدلالات، ولما تفضي إليه من شحذ للفكر بأساليب الحوار والإقناع المثلىٰ، ومما نوصي به:

١- تقديم المزيد من الدراسات التي تتناول الخطاب التواصلي المؤثر، بسياقيه المقالي والمقامي، وقراءة أشكال الخطاب المختلفة، وتمحيص ظواهرها وبواطنها، لتكوين عقلية عربية فذّة قادرة علىٰ البناء والإبداع.

٢- استثمار ظواهر العلاقات التخاطبية كالاستلزام الحواري والاقتضاء والتضمن وغيرها في تحليل النصوص التراثية والمعاصرة، للكشف عما لا يمكن كشفه من المعاني التي أرادها أصحاب النصوص، ولم يصرّحوا بها، مما يعزز مهارات القراءة التأويلية، ويدعم العقل العربي باستراتيجيات تحليل الخطاب الحديثة.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

* المراجع العربية:

- إحياء علوم الدين، الغزالي: أبو حامد، تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، هارون: عبد السلام، مكتبة الخانجي، مصر، ط ٣، ١٩٨٩م.
- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الشهري: عبد الهادي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلىٰ وضع القوانين الضابطة لها)، أدراوي: العياشي، ط١، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١١م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني: عبد القاهر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر وإعادة الدمج بين اللسانيات وعلم الاجتماع والفلسفة، المصدق: حسن، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع٢٥، صيف وخريف، ٢٠٠٤م.
- الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، مقبول: إدريس، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
- إشكال المعنىٰ من الاستعارة إلىٰ الاستلزام الحواري، السيدي: محمد، مجلة فكر ونقد، ع٢٥، يناير ٢٠٠٠م.
- أطروحة غرايس في اللسانيات التداولية: توصيف ودراسة في ماهية الاستلزام التخاطبي، جربوعة: إيمان، مجلة آداب ذي قار، مج ٥، ع ٢٠، ٢٠١٦م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة: محمود أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.

- البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، أبو حميدة: محمد زكي صلاح، منشورات جامعة الأزهر، غزة، ٢٠٠٧م.
- البيان والتبيين، الجاحظ: عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.
- بين تداوليات سورل وتفكيكية دريدا، بحث ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، بريمي: عبد الله، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، ٢٠١١م.
- تحليل الخطاب، ج ب براون وج يول، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.
- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة (مدخل إلىٰ تحليل الخطاب النبوي الشريف)، قاسم: حسام أحمد، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- التخييل وبناء الأنساق الدلالية (نحو مقاربة تداولية)، جبار: سعيد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣م.
- التداوليات علم استعمال اللغة، علوي: حافظ إسماعيلي، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن، ٢٠١١م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ربول وجاك موشلر، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، صحراوي: مسعود، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- الخصائص، ابن جني: عثمان، تحقيق: محمد النجار، دار الهدىٰ للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، د.ت.
- دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، بحيري: سعيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، المتوكل: أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.

- دلائل الإعجاز، الجرجاني: عبد القاهر، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول غرايس، رشيد: الراضي، مجلة الفيصل، العدد ٢٨٠، يناير/ فبراير ٢٠٠٠م.
- ديوان امرئ القيس، اعتنىٰ به: المصطاوي: عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
- ديوان المتنبي، تحقيق: د. عبد المنعم خفاجي، مكتبة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- شرح اللمع، الشيرازي: إبراهيم، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، مج٢.
- شرح المقامات الحريرية، الشريشي: أحمد بن عبد المؤمن القيسي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، ١٩٩٨م.
- طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، سرحان: إدريس، منشورات جامعة سيدي محمد المهراز، فاس، ٢٠٠٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيرواني: ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
- عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، عشير: عبد السلام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٦م.
- فهم الفهم – مدخل إلىٰ الهرمينوطيقا – نظرية التأويل من أفلاطون إلىٰ جادامر، مصطفىٰ: عادل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن: طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م.
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بوجادي: خليفة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ربول، ترجمة: عز الدين المجدوب وآخرون، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.

- قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، الوعر: مازن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط١، ١٩٨٨م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، د.ت.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن: طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٨م.
- لسانيات النص، خطابي: محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة: نعمان، منشورات باجي مختار، عنابة، الجزائر، ٢٠٠٦م.
- محيط المحيط، البستاني: بطرس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- مداخلات لسانية (مناهج ونماذج)، أزاييط: بن عيسىٰ، سلسلة دراسات وأبحاث، مطبعة مكناس، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٨م.
- المصطلحات الأدبية الحديثة، عناني: محمد، الشركة المصرية العالمية للنشر جولدمان، القاهرة، ١٩٩٦م.
- مفتاح العلوم، السكّاكي: أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- (المقامة الخامسة: الكوفية) من كتاب: مقامات الحريري، الحريري: القاسم بن علي، شرح: عيسىٰ سابا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- مقاييس اللغة، ابن فارس: أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- مقدمة إلىٰ علم الدلالة الألسني، هربيرت بركلي، ترجمة: قاسم مقداد، دراسات لغوية (١)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، يونس: محمد محمد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
- المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، بلعلي: آمنة، مجلة اللغة والأدب، ملتقىٰ علم النص، جامعة الجزائر، ع١٧، يناير ٢٠٠٦م.

- نشأة المقامات في الأدب العربي، عباس: حسن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.
- نظرية المعنىٰ في فلسفة بول غرايس، إسماعيل: صلاح، الدار المصرية السعودية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

*** المراجع الأجنبية:**

- Le développement de la pragmatique in langue française, Récanati, N°42, 1979.
- Meaning and Mind: An Examination of a Gricean Account of Language, Anita Avramides, (A Bradford Book) -April 3, 1989.
- Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Oswald Ducrot (et Jean-Marie Schaeffer (1999).
- Presumptive meanings: the theory of generalized conversational implicature, By Stephen C. Levinson, A Bradford Book, 2000.

***

Bibliography

- 'Iihya' eulum aldiyni, alghazali: 'abu hamid, thqyq: allajnat aleilmiat bimarkaz dar almunahaj lildirasat waltahqiq aleilamii, dar almunhaj, jidat, t1, 1432h.
- Al'asalib al'iinshayiyat fi alnahw alearabii, haruna: eabd alsalam, maktabat alkhanijii, misr, t 3, 1989m.
- Aistiratijiaat alkhitabi, muqarabatan lighawiat tadawliata, alshahri: eabd alhadi, dar alkitab aljadid almutahidat, liabaya, t1, 2004m.
- Alaistilzam alhawariu fi altadawul allisanii (mn alwaey bialkhswsyat alnaweiat lilzaahirat 'iilaa wade alqawanin aldaabitat liha), 'adrawi: aleiashi, t1, matabie aldaar alearabiat lileulumi, bayruut, 2011m.
- 'Asrar albalaghat fi eilm albian, aljurjani: eabd alqahir, tahqiq: eabd alhamid hindawi, dar alkutub aleilmiat, birut, t1, 2001m.
- 'Usus eilm altawasul fi alfikr al'almanii almueasir wa'iieadat aldamj bayn allisaniaat waealam alaijtimae walfalisifati, almasdaq: hasn, majalat alfikr alearabii almaeasiri, markaz al'iinma' alqawmii, birut, ea25, sayf wakharif 2004m.
- Al'usus al'iibstmulujiat waltadawuliat lilnazar alnahwii eind sayabwih, maqbula: 'iidris, ealam alkutub alhadith, al'urdun, t1, 2006m.
- 'Iishkal almaenaa min alaistiearat 'iilaa alaistilzam alhawarii, alsaydia: muhamid, majalat fikr wanaqad, ea25, yanayir 2000m.
- 'Utruhat gharays fi allisaniat altadawuliat: tawsif wadirasat fi mahiat alaistilzam altkhatby, jrbwet: 'iiman, majalat adab dhi qari, maj 5, e 20, 2016m.
- Afaq jadidat fi albahth allaghawii almaeasiri, nahilat: mahmud 'ahmad, dar almaerifat aljamieiat, al'iiskandrit, t1, 2002m.
- Albalaghat wal'uslubiat eind alsakaki, 'abu hamidat: muhamad zuki salah, manshurat jamieat al'azhar, ghazat, 2007m.
- Albayan waltabayiyna, aljahiz: eamrw bin buhr, thqyq: eabd alsalam harun, maktabat alkhaniji, alqahirat, t7, 1998m.
- Bayn tadawlyat suarl watafkikiat daridanaan, bahath dimn kitab: altdawlyat eilm aistiemal allighati, barimi: eabd allah, ealam alkutub alhadith, t1, 'iirbid, 2011m.
- Tahlil alkhitabi, j b birawn w j yul, tarjimata: muhamad alzalitani wamanir altarikii, manshurat jamieat almalik sueuad, almamlakat alearabiat alsaeudiat, 1997m.
- Tahwilat altalab wamuhadadat aldalala (mdakhal 'iilaa tahlil alkhitab alnubawii alsharifa), qasima: husam 'ahmad, dar alafaq alearabiat liltabaeat walnashr waltawziei, alqahirat, t1, 2007m.
- Altakhyil wabina' al'ansaq aldilalia (nhaw muqarabat tadawaliata), jibar: saeayd, ruyat lilnashr waltawziei, alqahirat, 2013m.

- Altadawliaat eilm aistiemal allighati, ealway: hafiz 'iismaeili, ealam alkutub alhadith, t1, al'ardun, 2011m.
- Altadawuliat alyawm eilm jadid fi altawasuli, an rubul wajak mushlir, tarjimat: da. sayf aldiyn daghfus, d. muhamad alshaybani, almunazamat alearabiat liltarjimati, dar altalieat liltabaeat walnashri, bayrut, t1, 2003m.
- Altadawuliat eind aleulama' alearabi, dirasat tadawuliat lizahira (al'afeal alkalamiati) fi alturath allisanii alearabii, sihrawi: maseawd, dar altalieat liltabaeat walnashri, bayrut, t1, 2005m.
- Alkhasayis, abn juni: euthman, tahqiq: muhamad alnujar, dar alhudaa liltabaeat walnushri, bayurut, ta2, da.t.
- Dirasat tatbiqiat fi alealaqat bayn albinyat waldalalati, bihyri: saeid, maktabat aladab, alqahirat, t1, 2005m.
- Dirasat fi nahw allughat alearabiat alwazifii, almutawkla: 'ahmad, dar althaqafat lilnashr waltawzieu, aldaar albayda', t1, 1986m.
- Dalayil al'iiejazi, aljurjani: eabd alqahir, tahqyq: mahmud shakir, maktabat alkhanijii, alqahirat, 2000m.
- Aldalalat alaistilzamiat fi allughat alearabiat walqawaeid altakhatubiat eind bul gharays, rshyd: alraadi, majalat alfaysal, aleadad 280, ynayr/ fibrayir 2000m.
- Diwan amri alqisa, aietanaa biha: almistawi: eabd alrahmin, dar almaerifat, bayruut, t2, 2004m.
- Diwan almutanbi, tahqiq: da. eabdalmineim khifaji, maktabat musr, alqahirat, t1, 1994m.
- Sharah allame, alshiyrazi: 'iibrahim, thqyq: eabd almajid turki, dar algharb al'iislami, bayrut, 1988m, maj 2.
- Sharah almuqamat alhaririatu, alsharishi: 'ahmad bin eabd almumin alqysy, tahqyq: 'iibrahim shams aldiyni, dar alkutub aleilmiatu, muhamad eali bidun, 1998m.
- Turuq altadmin aldalalia waltadawuliu fi allughat alearabiat waliat alaistidlali, sarhan: 'iidris, manshuirat jamieat sayidiun muhamad almuhraz, fas, 2000m.
- Aleumdat fi muhasin alshier wadabihi, alqirwani: abn rashiq, tahqiq: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid, dar aljil, t5, 1981m.
- Eindama natawasil naghiir (mqaribat tadawuliat muerfiat lialiaat altawasul walhijaja), eashir: eabd alsalam, 'afriqia alsharq, aldaar albayda', t2, 2006m.
- Fahum alfhm- madkhal 'iilaa alhirminawtiqa -nzuriyat altaawil min 'aflatun 'iilaa jadaa mir, mstfy: eadilin, ruyat lilnashr waltawzie, alqahirat, t 1, 2007m.
- Fi 'usul alhiwar watajdid eilm alkalami, eabd alrahmin: tih, almarkaz althaqafiu alearabiu, aldaar albayda', almaghrib, t2, 2000m.

- Fi allisaniaat altadawuliat mae muhawalat tasiliat fi aldars alearabii alqadimi, bujady: khalifat, bayt alhikmat lilnashr waltawziei, aljazayir, t1, 2009m.
- Alqamus almawsueiu liltadawuliat, jak mushlir wan rubul, tarjimat: eiz aldiyn almajdub wakharun, dar sinatra, tuns, 2010m.
- Qadaya 'asasiat fi eilm allisan alhadithi, alwer: mazin, dar talas lildirasat waltarjamat walnushri, surya, t1, 1988m.
- Alkitab, saybwayh, tahqiqa: eabd alsalam haruna, dar aljayli, bayurut, ta1, da.t.
- Lisan alearabi, abn manzura: muhamad bin mukrimin, dar sadir, birut, d.t.
- Allisan walmizan 'aw altakuthur aleaqliu, eabd alrahmn: tih, almarkaz althaqafiu alearabiu, aldaar albayda', almaghrib, t1, 1998m.
- Lisaniat alnas, khitabi: muhmid, almarkaz althaqafiu alearabii, bayruut, t1, 1991m.
- Muhadarat fi almadaris allisaniat almueasirt, biwqrat: naeman, manshurat baji mukhatar, eanabat, aljazayir, 2006m.
- Muhit almahiti, albustani: batris, dar alkutub aleilmiat, birut, t1, 2009m.
- Mudakhalat lisania (mnahij wanimadhja), 'azayit: bin eisaa, silsilat dirasat wa'abhathin, mutbaeatan muknas, jamieat mwlay 'iismaeil, kuliyat aladab waleulum al'iinsaniat, 2008m.
- Almustalahat al'adbiat alhadithatu, eanany: muhmid, alsharikat almisriat alealamiat lilnashr jawaladaman, alqahirat, 1996m.
- Miftah aleulumi, alskkaky: 'abu bikr, dar alkutub aleilmiat, birut, t1, 2000m.
- (Almuqamat alkhamisata: alkufiat) min kitab: muqamat alharirii, alhariri: alqasim bin eali, sharh: eisaa saba, dar bayrut liltabaeat walnashr, bayrut, 1398ha.
- Maqayis allighati, abn farsa: 'ahmad, tahqiq: eabd alsalam harun, dar alfikur, 1979m.
- Muqadimat 'iilaa eilm aldalalat al'alsanii, hirbayrt birikli, tarjimatu: qasim muqdad, dirasat lighawya (1), manshuirat wizarat althaqafati, dimashq, 1990m.
- Muqadimat fi eilmi aldalalat waltakhatubi, yuns: muhamad muhamad, dar alkitab aljadid almutahidat, liabaya, t1, 2004m.
- Almantiq altadawuliu eind th eabd alrahmin watatbiqatih, bilealay: aminat, majalat allughat wal'adab, multaqaa eilm alnas, jamieat aljazayiri, ea17, yanayir 2006m.
- Nash'at almuqamat fi al'adab alearabii, eibas: husan, dar almaearif, alqahirat, 1990m.
- Nazariat almaenaa fi filisifat bul gharays, 'iismaeil: salaha, aldaar almisriat alsaeudiati, alqahirat, misr, 2005m.

❊ ❊ ❊